والحجارة وكتل الأسمنت الصغيرة التي جعلتها المياه الجوفية تتآكل وتقل صلابتها.

كانت المحاولة مؤلمة. . وتسلخت يدا ماجد ولكنه واصل محاولته بإصرار لا مزيد عليه. . واتسعت الحفرة التي يصنعها. ولم يكن ماجد يدري إلي أين ستقوده تلك الحفرة، ولكن كان المهم عنده مغادرة تلك الزنزانة بأي ثمن.

ومضى الوقت سريعاً. . أكثر من ثلاث ساعات وماجد يواصل الحفر دون هوادة. . وشعر أنه يقترب من هدفه بعد أن تسلخت يداه تماماً ونزفت بالدماء.

وفجأة شعر أن الأرضية تهتز تحته وتنهار به.

وسقط ماجد لأسفل. . ثم ارتطم بشيء ثقيل.

وتنبه سريعاً إلى المكان الذي سقط فيه. . كان قد سقط فوق بركة التماسيح وفوق ظهر أكبر تلك التماسيح بالضبط!

ذلك التمساح الذي شاهده ينصرف عن أكل لحوم الأبقار. . انتظاراً لوجبة من اللحم البشري!

وكان وقع المفاجأة مباغتاً لماجد، ولكن وقبل أن يتنبه

التمساح الضخم إلى ذلك الصيد الثمين الذي سقط فوق ظهره، كان ماجد قد عمد إلى الحركة سريعاً . .

كانت حافة البركة بعيدة عنه ويستحيل عليه قطعها سباحة أو الوصول إليها قبل أن تمزقه التماسيح التي يعمر بها المكان . . وما كان الوصول إلى حافة البركة لينقذه وخاصة أن كل منافذ البركة مغلقة بقضبان حديدية ضخمة خشية هرب التماسيح منها .

ولم يكن أمام ماجد غير حل وحيد، وقبل أن يفتح التمساح الرهيب فكه بعد أن تنبه للفريسة التي سقطت عليه من أعلى، مد ماجد ذراعيه المقيدتين بالسلسلة الحديدية ليطوّق فك التمساح ويمنعه من فتحه .

وجن جنون التمساح الرهيب وهو يشعر بذلك القيد الذي يغلق فيه، فضرب الماء بذيله في عنف شديد، ثم اندفع متلوياً داخل البركة محاولاً إزاحة ماجد من فوق ظهره . . على حين رفعت بقية التماسيح في البركة رؤوسها في يقظة حادة منتظرة نتيجة المعركة اليائسة، وهي لا تجرؤ على التدخل في المعركة ومحاولة اقتناص الصيد لنفسها، خشية من التمساح الضخم

الذي بدا أنه لا منازع له في ذلك المكان!

وشعر ماجد بالمياه تغمره وهو يهبط سريعاً في قاع البركة. . فأغلق فمه وأنفه وشدد قيده حول فك التمساح الذي راح يتلوى في قلب الماء محاولاً إلقاء ماجد من فوقه وهو يلطم الماء بذيله في جنون. . ولمح ماجد في قاع البركة شيئاً يلتمع بانعكاس ضوء خافت. كان هو الخاتم الفضي العريض الذي كان يضعه «سامبو» في أصبعه، فلم يخالجه شك في المصير الذي لاقاه المصارع الزنجي بعد هزيمته وتحطم عظامه!

وتشبث ماجد أكثر بالتمساح. . وشعر أنه يكاد يختنق في اللحظة التي لمح فيها نفقاً ضيقاً في قاع البركة كان يجددها بالماء النظيف، وكان مغلقاً في نفس اللحظة حتى لا يختلط ماؤه بماء البركة القذر.

وصعد التمساح إلى سطح الماء في الوقت المناسب لحُسن الحظ فالتقط ماجد نفساً عميقاً، قبل أن يعاود التمساح غوصه سريعاً. وكان على ماجد المخاطرة فلم يكن هناك غير تصرف وحيد للنجاة. وفي لحظة خاطفة حل السلسلة الحديدية عن فك التمساح الذي فتح فمه عن آخره فظهرت أسنانه المرعبة

بداخله، وقبل أن يهوى بها فوق ذراعي ماجد، كان الأخير قد تعمّد وضع قيوده أمام الفك المفتوح، فهوت أسنان التمساح فوق السلسلة الحديدية في عنف، وسمع ماجد صوت تهشم أسنان التمساح بسبب صلابة السلسلة الفولاذية. واندفع ماجد غائصاً بكل سرعته نحو فتحة النفق الضيق قبل أن يتنبه التمساح الضخم لهرب فريسته ويشرع في مطاردتها.

وهشم ماجد غطاء النفق بضربة عنيفة من ساقه تحطم بها الغطاء الخشبي، ثم غاص سريعاً في قلب النفق، على حين اندفع التمساح الرهيب في عنف ليصطدم فكه بفتحة النفق فهشم ما تبقى له من أسنان!

واصل ماجد غوصه داخل النفق الضيق بسرعة، وشعر بصدره يكاد يحترق لقلة الأكسجين، وانتهى النفق أخيراً إلى أحد روافد قناة الماء الضيقة التي تمر عبر حديقة القصر لداخله.

وأطل ماجد في حذر من داخل القناة. كان الوقت ليلاً. وخمن ماجد أنه قضى ما يقرب من ٢٤ ساعة داخل زنزانته. لم يكن هناك أحد في الجوار. ووقع بصره على قطعة من الحديد ملقاة في الجوار، فالتقطها من مكانها وأدخلها في

إحدى حلقات السلسلة الحديدية التي تقيد يديه وثناها بعنف فتهشمت الحلقة المعدنية، وسرعان ما كان ماجد يتحرر من قيوده. . فنهض وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة قاسية. . ولكنه قبل ان يتحرك بعيداً. فوجئ بنباح غاضب، وأحد الكلاب المتوحشة في المكان يقفز عليه من الخلف.

وتمالك ماجد نفسه بسرعة، وتحاشى مخالب وأنياب الكلب المتوحش والتقط السلسلة الحديدية التي كانت تقيده ولفها حول رقبة الكلب وضغط عليها في عنف بالغ.

وزمجر الكلب في صوت رهيب وتحشرجت أنفاسه وجحظت عيناه، ثم سقط جثة هامدة بعد ثوان قليلة، فألقاه ماجد داخل القناة المائية فحمله التيار بعيداً.

ولكن نباح الكلب الصريع كان قد اجتذب، عشرات الحراس والكلاب المتوحشة إلى المكان وهي تطلق نباحاً رهيباً يشق صمت الليل.

* * *

الخدعة القاتلة

ألقى ماجد بنفسه داخل القناة المائية وحبس أنفاسه وغاص في هدوء مبتعداً، وقد أخفاه الظلام عن العيون.

وتساءل أحد الحراس من الخارج: ماذا يحدث. لماذا نبح ذلك الكلب هذا النباح الوحشي؟

فأجابه آخر: لعله لمح قطة ضالة فشرع في مطاردتها.. فإننا لم نلمح أحداً آخر في المكان.

قال الحارس الأول: حسناً.. فلنعد إلى أماكننا.

وتفرق الحراس سريعاً.. وأخرج رأسه من الماء وتنفس أخيراً في ارتياح.

كان ضوء الفجر قد بزغ في السماء وأنار جنبات القصر..

وكان عليه أن يقوم بعمله الأخير في هدوء وحذر . كان عدوه الوحيد «هوشي يانج» «التنين الذهبي» ، الذي لم يكن هناك شك في أن قتله سوف يبدد شمل عصابته فتنهار إمبراطورية الشر التي يحكمها . وكان على ماجد أيضاً أن يمنع وصول شحنة المخدرات إلى بلاده بأي ثمن . ولكن حركته كانت ستصبح مكشوفة ومعرضة للخطر بسبب وجود عشرات الحراس في المكان ، وكان عليه تجنب القتال معهم بأي ثمن ، وخاصة أنه قد أصابه الوهن لتسلخ يديه من الحفر ومعركته مع التمساح الرهيب .

وفجأة ومضت الفكرة في ذهن ماجد . . وكان عليه أن يبدأ في تنفيذها في الحال ، فلم يكن الوقت يتسع له لأي تأخير أو إبطاء .

غادر ماجد القناة المائية واتجه محاذراً نحو القصر الكبير . وكان هناك حارسان يقفان وقد استندا إلى الحائط وأوشكا على الغرق في النوم . . وما ان لمح أحدهما ماجداً وفتح فمه موشكاً على الصراخ ، حتى كان ذلك آخر ما فعله تلك الليلة ، فبأسرع من لمح البصر أمسك ماجد برأس الحارس وجذبها

بشدة، ولم يكن هناك شيء قريب ليلطمها ماجد بها غير رأس الحارس الثاني، فتهاوى الاثنان على الأرض فاقدي الوعي كأنما انفجر في رأسيهما زلزال!

وخطا ماجد حذراً إلى داخل القصر عبر بوابته المفتوحة.

وأخذ وجهته نحو مخزن المخدرات.. وكان يرغب في الوصول إليها بأقل قدر من الضجيج وإثارة المشاكل.

ولكن المشاكل كانت تأبى إلا أن تقفز فجأة في وجه «رجل المهام الصعبة»!

فما كاد يخطو داخل الممر المؤدي للمخزن، حتى كان هناك أحد المصارعين يخطو من الناحية الأخرى ليقطع عليه الممر، كان هو المصارع العملاق الضخم الملقب باسم «رامبو»!

فوجئ المصارع بماجد الذي قفز بسرعة عبر المسافة الفاصلة بينهما.. ثم انتصب أمامه ليقطع عليه أي طريق لمغادرة المكان أو الاستنجاد بزملائه.

وجز المصارع على أسنانه في حقد قائلاً: إذن فقد تمكنت من الهرب من زنزانتك.. ولسوء حظك فقد وقعت في يدي.. فإن بيننا حساباً قديماً يجب تصفيته.

أجابه ماجد ساخراً : بل إن سوء حظك أنت هو الذي جعلك تقع في يدي الآن . . فليس من شخص قاتلته في هذا المكان ، إلا وكان مصيره النهائي في بطن التماسيح الراقدة في تلك البركة تحت هذا القصر!

أطلق «رامبو» صوتاً وحشياً واندفع نحو ماجد ليطوّق رقبته بذراعيه الضخمتين ، ولكن ماجد تحاشى ذراعي المصارع ، العملاق وصوّب ضربة بسيف يده إلى رقبة المصارع جعلته يترنح من الألم . وعاجله ماجد بضربة أخرى ما بين ساقي العملاق فصرخ من الألم ، وفوجئ ماجد «برامبو» يقفز نحوه بطريقة لا تتناسب مع ضخامته ليقوم بشل حركة ماجد من وسطه وذراعِيه ويعتصره بذراعيه الهائلتي القوة .

وشعر ماجد بأن عظامه تكاد تتحطم وبأنفاسه تضيق وتختنق وهو لا يكاد يستطيع تحريك ذراعيه المقيدتين سنتيمتراً واحداً . وبحركة بارعة هوى برأسه للخلف في عنف فاصطدمت بأنف «رامبو» وهشمته ، فأفلت ماجد وهو يسب ويلعن من الألم الرهيب . ولكن الوقت لم يتسع له لأكثر من ذلك . فقد هوى ماجد برأسه فوق جبهة العملاق بضربة هائلة

ارتج لها العملاق كأنما صدمته شاحنة . . وحدّق في ماجد بعينين مقتولتين بالألم الشديد ثم تهاوى على الأرض دون حراك ، فألقى عليه ماجد نظرة ساخرة وهو يقول : لقد كنت لنفسي دائماً أن «رامبو» ليس إلا شخصاً غبياً يمتلك بعض العضلات المنتفخة بالهواء . . ولقد أكدت لي ظني!

وأسرع ماجد إلى حجرة المخزن . . وكان حراسها الثلاثة جالسين أمامها يغالبون نومهم . . وفي لحظة خاطفة كانت رؤوسهم ترتطم بعضها ببعض في عنف قبل أن يدركوا حتى إن كان ما يحدث لهم حقيقة أم أنه كابوس . . فتهاووا على الأرض دون حتى آهة ألم . وسرعان ما كان ماجد يجذبهم إلى المخزن الكبير ويخفيهم بداخله .

وفي الحال بدأ ماجد مهمته . . فحمل ما استطاع من أكياس المخدرات الكبيرة وانطلق بها خارجاً ، وأفرغها داخل القناة المائية بأكملها . . وحمل غيرها وأفرغها أيضاً . ثم انطلق إلى المطبخ الكبير الواسع فأفرغ في كل الطعام الذي وجده ، ما حمله من أكياس مخدرات وهو يقول : فلتذوقوا بعضاً من سمومكم أيها الأوغاد المجرمون ، لتروا ما تفعله بالأبرياء الذين يسقطون ضحية لها .

وانطلق ماجد إلى القاعة الكبيرة في قلب القصر. وامتدت يداه إلى الحبل المدلى خلف كرسي «التنين الذهبي» وجذبه بشدة، ثم توارى في أحد الأركان خلف ستائر الحائط.

ودق الناقوس الضخم في الخارج، فهب النائمون من رقادهم وأسرع الجميع إلى أسلحتهم، وهرولوا إلى داخل القصر يغالبون النوم، واندفع «هوشي يانج» نحوهم غاضباً وهو يقول: من الذي جذب منكم الحبل أيها الأغبياء فدق الناقوس؟

ولكن أحداً لم ينطق بكلمة، فظهرت الدهشة العميقة على وجه «التنين الذهبي»، وأطرق برأسه ثم أشار إلى رجاله قائلاً: هيا أسرعوا بتناول إفطاركم، فإن هناك عملاً كبيراً ستقومون به اليوم في إيصال شحنة المخدرات للميناء لتأخذ طريقها إلى «مصر». وعليكم أن تكونوا قريبين مني دائماً لأستدعيكم في أية لحظة.

فتدافع الحراس خارجين من المكان على حين احتل «هوشي يانج» مكانه فوق مقعده، وقد غرق في تفكير عميق وهو يحدق في رقعة الشطرنج أمامه.

وألقى ماجد نظرة إلى ساعته وابتسم. كانت أمامه ربع

ساعة فقط ليُظهر نفسه. وعليه أن يبقى مختفياً مكانه تلك الدقائق.

ومضى الوقت ببطء وعينا «التنين الذهبي» لم تفارقا لوحة الشطرنج أو تنقل أيًّا من قطعها. وأخيراً أشارت عقارب الساعة بانتهاء الوقت.. فغادر ماجد مكانه خلف الستائر واتجه صوب «هوشي يانج» الذي حدّق فيه بعينين ضيقتين دون أن تظهر عليه أي آثار للدهشة أو المفاجأة.

وقال له ماجد ساخراً: يبدو أن ظهوري المفاجئ لم يُدهشك؟

أجابه «هوشي يانج»: لقد توقعت أن تكون أنت من جذب حبل الجرس الكبير بعد أن تمكنت من الهرب من زنزانتك بطريقة ما.. وتوقعت أن تظهر ما بين لحظة وأخرى.

ماجد: يعجبني ذكاؤك.. وإن كان من المؤسف أنه لن يفيدك بشيء من المصير الذي ينتظرك، فقد حان أوان تصفية الحساب الآن، لتدفع ثمن كل شرورك.

قال «هوشي يانج» ساخراً: هل تظن ذلك.. سوف ترى حالاً من الذي سيتم تصفية الحساب معه، فيبدو أنني أخطأت

بإبقائك على قيد الحياة كل هذا الوقت، فشخص مثلك كان من الأفضل قتله بأسرع وقت.

وجذب «التنين الذهبي» حبل الجرس الكبير بجواره. فرمقه ماجد في صوت وسخرية دون أن يحاول منعه عما يفعله، ومرت ثوان كثيرة سريعة قبل أن يقول «هوشي يانغ» ذاهلاً: ماذا يحدث.. لماذا لم يلب الحراس النداء؟

أجابه ماجد ساخراً: لو ألقيت نظرة في الخارج لشاهدتهم ممددين في كل مكان غارقين في غيبوبة المخدر بعد أن وضعته في كل مكان.. في طعامهم وشرابهم وماء القناة أيضاً.

حدّق «التنين الذهبي» في ماجد ذاهلاً غير مصدق، واندفع نحو نافذة قريبة وأطل منها للخارج قبل أن تتسع عيناه في جنون وثورة، ثم التفت إلى ماجد في حقد هائل قائلاً: أيها الشيطان.. أي قدر قد أرسلك إلى هذا المكان؟

أجابه ماجد: إنه قدرك الأخير أيها الوغد.. فقد حان أوان نهايتك، وعليك أن تدفع الثمن أيضاً مقابل من أمرت بقتلهم من رجالنا.. وأولئك الذين فقدوا عقولهم وحياتهم بسبب مخدراتك القذرة.

ولكن وقبل أن يتحرك ماجد من مكانه، ضغط «هوشي

يانج» على مسند مقعده، وفي الحال انكشفت الفتحة أسفل قدمي ماجد الذي شعر بتوازنه يختل فجأة، وأنه يسقط لأسفل نحو بركة التماسيح.

ولكن ماجد ثنى جسده بمرونة فائقة وتعلّق في اللحظة الأخيرة بحافة الفتحة وتشبث بها، لكي لا يسقط داخل بركة التماسيح برغم أصابعه الدامية، واندفع «التنين الذهبي» نحوه في غضب جنوني، وراح يدوس فوق أصابع ماجد الدامية بقدميه صارخاً: هيا أسقط بين فكوك التماسيح أيها الشيطان.

ولكن ماجد تشبث بالحافة بيد واحدة، وبيده الأخرى جذب قدم «هوشي يانج» الذي اختل توازنه، وأطلق صرخة ملتاعة قبل أن يهوى إلى قلب بركة التماسيح!

وفي الحال انقلبت مياه البركة إلى معركة متطاحنة، والتماسيح المتوحشة قد تدافعت تنهش فريستها دون رحمة.

أغمض ماجد عينيه عن المنظر البشع، وقفز إلى خارج الفتحة وألقى نظرة أخيرة إلى المكان فوقعت عيناه على لوحة الشطرنج. ولفت انتباهه قطعة «الوزير» العاجية السوداء. كانت لها نفس ملامح «هوشي يانج» الرجل الذي ظن في لحظة

أنه لا يقهر . . إلى أن بعث إليه القدر «برجل المهام الصعبة»!

وأمسك ماجد بالقطعة العاجية ووضعها في جيبه . . فقد كانت أفضل تذكار لتلك المهمة التي أداها على أكمل وجه!

وألقى نظرة إلى التمثال الذهبي للتنين ذي العينين الياقوتتين ، وبدا له كأنما بريق العينين قد انطفأ إلى الأبد!

وما كاد ماجد يغادر القصر الكبير حتى كانت سيارات ومدرعات الشرطة تحاصر القصر . . بعد تلك المكالمة المجهولة التي أنبأتهم بوجود العشرات من المجرمين المطلوبين من العدالة داخل القصر ، بالإضافة إلى شحنات هائلة من المخدرات ، كانت ستُرْسِل كل من يجدونه داخل القصر إلى السجن لعشرات السنوات!

* * *

وفي الطائرة العائدة إلى «القاهرة» تأمل ماجد قطعة الشطرنج العاجية المنحوتة بملامح «هوشي يانج» . . «التنين الذهبي» .

وابتسم ساخراً . فقد كان صاحبها يظن أنه تنين حقيقي لا يُقهر ، قبل أن يتدخل هو في الأمر ، ثم تولت بضعة تماسيح متوحشة تعيش في بركة صاحب القصر التأكيد للتنين الذهبي

أنه ليس سوى وغد مجرم .

ولقد كان مصير كل الأوغاد في ذلك القصر . . في بطون تماسيحه!

* * *

العملية القادمة :

ارض الشر

فجأة يتم اختطاف إحدى سكرتيرات السفارة المصرية من «كينيا» . . حيث يقوم محاربو قبيلة «الماساى» باختطافها الى أرضهم الرهيبة . . أرض الشر داخل الغابات المتوحشة، لكي يحصل زعيم «الماساى» على وثائق وأسرار من السكرتيرة المخطوفة .

ويذهب «ماجد شريف» الى أرض الجحيم من أجل استعادة السكرتيرة المخطوفة والوثائق المهمة . . فهل ينجح في صراعه مع وحوش الغابة وفخاخها . . ومتوحشي قبيلة «الماساى»؟

هذه العملية :

تَـأليف : مَجـدي صَـابر

انتقام التنين الذهبي

في قلب «هونج كونج» كانت الخطط تدبّر لقتل عملاء السيد «م».. فتساقطوا واحداً وراء الآخر عند محاولتهم التصدي للتنين الذهبي وإيقاف شره، ومنع تصديره السموم إلى المنطقة العربية.

ويذهب «ماجد شريف» إلى عرين «التنين الذهبي» لاقتحامه وتدمير إمبراطورية الشر التي أقامها في جنوب «آسيا». فهل ينجو من انتقام «التنين الذهبي»؟.

دار الجيل

بيروت

١٤
سلسلة رجل المهام الصعبة
إنتقام التنّين الذهبيّ

إنتقام التنّين الذهبيّ
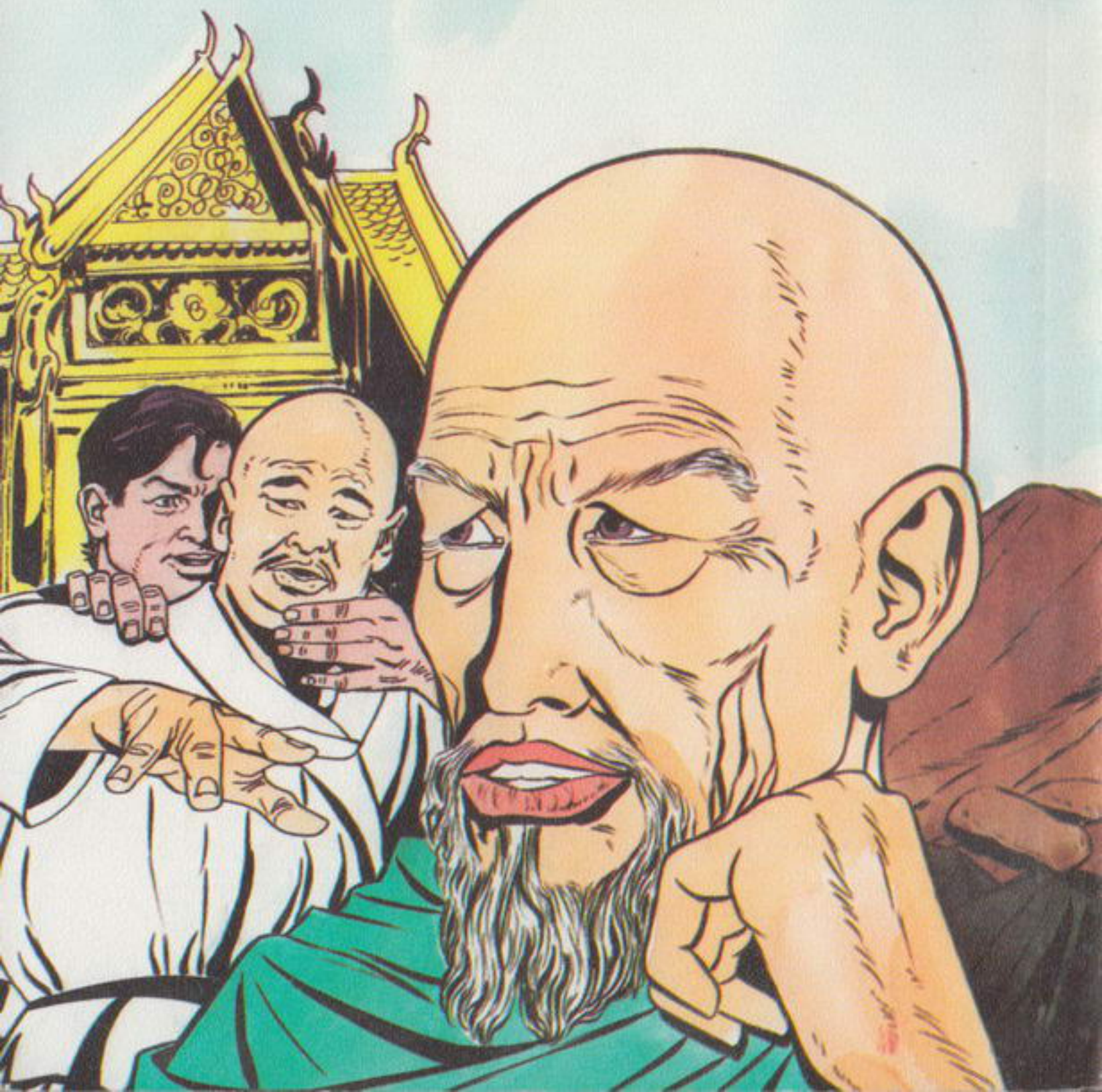
سلسلة
رَجُل المَهَام الصَّعبَة

المغامرة الرابعة عشرة

إنتقام التّنين الذهبيّ

تأليف : مَجدي صَابر

دار الجيل
بيروت

رجل المهام الصعبة:

انها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم « ماجد شريف ».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

وإذا كان « جيمس بوند » هو أسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن « ماجد شريف » هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير « ماجد شريف »..

ولم يحدث أن خيّب « ماجد » أمل رؤسائه فيه أبداً..

مصرع . . ثلاثة بيادق!

يبدو نهر «سنغافورة» الممتد في قلب المدينة ، كما لو كان غابة من القوارب الصغيرة والمتوسطة الأحجام . وهي قوارب يستخدمها البعض في الصيد أو نقل الركاب والبضائع ، وفي أحيان كثيرة تستخدم كمأوى وسكن للفقراء الذين لا يملكون من متاع الدنيا شيئاً أكثر من قارب صغير متهالك يقضون فيه أغلب أيام حياتهم .

وإلى الخلف عند شاطئ النهر في الجنوب بالقرب من الميناء المفتوح ، بدت بنايات حديثة ضخمة تعكس أهمية موقع «سنغافورة» كميناء عالمي حر .

ووسط بحر الوجوه الصينية والهندية الصفراء أو السمراء ، كان من الطبيعي أن يبدو لافتاً للنظر رؤية وجه بملامح شرقية

عربية في ذلك الخليط المميز التقاطيع . . ملامح مصرية خالصة .

ولكن لعل الملامح الهادئة لذلك الرجل الذي يقترب من الخمسين من عمره التي تبعث على الثقة والارتياح ، والجالس في هدوء في أحد القوارب الصغيرة التي يعج بها المكان ، كانت سبباً في ألا يلتفت إليه أحد بنظرة فضول .

ولكن التدقيق في مراقبة ذلك المصري سيكشف أن مظاهر الهدوء والسكينة المرتسمة على وجهه هي مظاهر خادعة بكل تأكيد . فقد كان بصره مركزاً في تلك اللحظة على قارب بعيد يشق طريقه وسط بقية القوارب برغم ضخامة حجمه في مهارة وسرعة ، وصاحبه يقوده في حذر ملقياً بين اللحظة والأخرى بنظره إلى حمولة قاربه من الصناديق الخشبية التي كتب عليها باللغة «الملاوية» و«الإنجليزية» أنها تحتوي على مواد قابلة للكسر . . وقد انطبع فوقها رسم واضح لتنين ذهبي اللون ، كان يمثل علامة مؤكدة يعرف كل سكان المكان ، من يكون صاحبها المخيف .

وما ان نجح قائد القوارب الحَذِر في الخروج بقاربه إلى قلب

النهر، حتى أشار المصري إلى صاحب المركب الذي يستقله أن يقوده خلف المركب الآخر، فأطاع الشاب الأصفر الوجه الإشارة في صمت.

ودون أن يلاحظ ذلك المصري الوقور الملامح.. فقد كان هناك قارب آخر لا يحتوي غير راكب وحيد كان يركن للسكون إلى أن تحرك القارب الثاني.

وكان راكب المركب الثالث ذا ملامح أسيوية أقرب إلى سكان «الملايو».. يضع على عينيه نظارة سوداء أخفت عينه اليسرى الزجاجية عن الأنظار.

وتحركت القوارب الثلاثة عبر النهر تفصلها مسافة كافية.. وابتعدت عن مناطق الزحام وقد بدا كأن النهر خلا من سكانه راكبي القوارب عدا تلك القوارب الثلاثة التي أوشكت على بلوغ منتصف النهر.

واقترب القارب الأول من شاطئ النهر أمام بقعة عشبية متسعة بالقرب من سفينة بضائع كبيرة. وتبادل صاحبه إشارة مع شخص آخر على السفينة مشيراً إلى الصناديق الخشبية في قاربه. فقفز الشخص الثاني إلى القارب الأول واستعد لنقل

بضاعته إلى السفينة. وامتدت يده نحو أقرب الصناديق إليه ففتحه والتقط داخله كيساً صغيراً تبين بداخله مسحوق أشبه بالدقيق، راح يتفحصه باهتمام وخبرة. ثم هز رأسه في رضا ارتياحاً لنوعية البضاعة.

ولكن المراقبة لم تستمر أكثر من ثوان قليلة.. وذلك عندما خلع راكب القارب الثالث النظارة السوداء عن عينه والتقط بندقية من يساره كانت مخفاة تحت بضعة جرائد قديمة.. وصوب ذو العين الزجاجية بندقيته نحو الشخص المصري ثم أطلق رصاصة واحدة لم يكن لها أي صوت.

وانكفأ المصري الوقور الملامح على وجهه في اللحظة التالية وقد اخترقت الرصاصة جبهته. وفي سرعة وسكون ألقى صاحب القارب الثاني براكبه القتيل إلى قلب النهر.. ثم اختفى بقاربه عائداً إلى غابة القوارب الأخرى في الميناء.. كأن شيئاً لم يكن!

* * *

وكان المشهد التالي يجري في غابات «بورما» بالقرب من العاصمة «رانجون».

وبالرغم من المطر المتساقط بشدة منذ الساعات الأولى للفجر، فقد كانت الغابة الفسيحة الممتدة إلى نهاية البصر عامرة بالحياة حتى نهايتها بالقرب من الجبال البعيدة.

وقبل عدة سنوات كانت الغابة الممتدة إلى نهاية البصر عامرة بأشجار «المانجرو» التي اقتطعت معظمها وبقي القليل منها كما لو كانت علامات إرشادية.

ومع اجتثاث اشجار «المانجرو» خلت المنطقة أيضاً من النمور والقردة والغزلان التي كانت تعمر تلك المنطقة.

وبامتداد البصر كان هناك المئات من النساء والأطفال وحتى العجائز، الذين تبدو وجوههم كالحة لسوء التغذية والإرهاق، وقد راحوا يعملون في صمت ورتابة لالتقاط ثمار نبات «الخشخاش» من الأشجار النامية بارتفاع متر، ويلقون ما يحصدونه في سلال كبيرة خلف ظهورهم، على حين وقف عدد من الحراس الأشداء البنية بوجوه قاسية وأسواط ينهالون بها فوق من يبدو عليه أقل قدر من التذمر أو الملل من العاملين.

وهناك.. وعلى أطراف الغابة وفوق أشجار المانجرو الضخمة المعمرة، كان يكمن بين أغصانها شاب في مقتبل

العمر له ملامح مميزة لا يمكن أن تخطئها العين .

كانت ملامح ذلك الشاب شرقية واضحة ، وقد صوّب نظارة مقرّبة إلى نهاية الغابة حيث تجمعت كميات كبيرة من الأجولة الصفراء العامرة بثمرة نبات الخشخاش ، والتي كان يتم تحميلها إلى شاحنات كانت تقف بالانتظار في صف طويل . . وقد وضعت فوق جدرانها علامة خاصة على شكل تنين ذهبي لا تخطئه العين !

والتقطت أذنا الشاب صوتاً قريباً يأتي من أسفل الشجرة التي كمن بين أغصانها منذ الصباح الباكر للمراقبة . واتسعت عيناه وهو يشاهد السهم المصوب إليه من أسفل ، ولم يتسع الوقت له حتى لإطلاق آهة ذعر أو ألم .

وفي لحظة خاطفة استقر السهم بين ضلوع الشاب فانكفأ على وجهه بين الأغصان الكثيفة ، وقد سرى فيه سم سريع المفعول قضى عليه في ثانيتين .

وارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه صاحب القوس الحديدي الذي أطلق السهم القاتل . ابتسامة لم تقلل من بشاعة الوجه ذي الأنف المبتور والأذن المشوهة .

أما المشـهد الثـالث فكان يجري على مسـافة كـبيرة بامتداد بحر الصين الجنوبي . . ففوق أحد جبال «تايوان» وعلى مسافة مائة كيلو متر من العاصمـة «تاييه» ، لا يبدو على امتـداد البصر فوق قمم الجبـال القريبة غير بعض الحيوانـات الجبلية التي كانت تمرح هنا وهناك. وإلى أسـفل كـانت هناك نباتات «البـامبـو» العـملاقة التي بدت كـمـا لو كـانت غابة من الأغصـان النابتة بشكل شيطاني.

ولكن المدقق لأعلى تلك الجبـال كان يلمح في تلك اللحظة طائرة عمودية توشك على الهبوط فوق بقعة خاصة مستوية بدا من الواضح أن يداً بشرية قد سوتها ومـهدتها وجـعلتها صـالحة للهبوط . وعلى مسافة قريبـة كان ثمة بناء خشبي عريض كالح اللون يستحيل تمييزه عن رؤوس الجبال القريبة ، وقـد بدا أن اختـيـار ذلك المكان قـد تم بعناية لإخـفـاء البناء عن العيـون ، ولإسدال ستار من السرية حول نشاطه المخالف للقانون .

وكانت هناك صناديق كثيـرة قد ارتصت أمام مدخل البناء الخشبي . . وفوق تلك الصناديق قد ظهـر واضحاً شـعار التنين الذهبي . . نفس الشعار الذي كـان مطبـوعاً فـوق ذيل الطائرة

العمودية ، والتي استقرت فوق ساحة الهبوط ، فأسرع عدد من أصحاب الوجوه الأسيوية يحملون من داخل الطائرة الكبيرة الأجولة الصفراء وينقلونها إلى داخل البناء الخشبي ، حيث يتم تحويل ثمرة نبات «الخشخاش» بعد عدة عمليات كيمائية معقدة إلى «هيروين» خام . . على حين كان عدد آخر من أصحاب الوجوه الصفراء يقومون بنقل الصناديق إلى الطائرة .

وعلى مسافة بعيدة وفوق قمة جبل آخر كان ثمة شخص قد اختفى بين بعض الصخور وراح يراقب ما يدور على قمة الجبل الآخر من خلال نظارة مقربة .

شخص كانت ملامحه عربية واضحة .

وفي هذه المرة أيضاً لم يكن الوقت يتسع لذلك الشاب ليكتشف سر ما حدث له . . ففي لحظة خاطفة شعر بدفعة قوية تأتية من الخلف أخلت بتوازنه ودفعته من فوق قمة الجبل ، فأطلق صرخة مرتعبة وهو يهوي من ارتفاع الآف الأمتار .

ثم ماتت صرختـه عندما ارتطم بالصخور بأسفل وتمزق بدنه .

وبأعلى الجبل كان يقف عملاق صيني ضخم البدن . . وقد

بدا عليه الرضا التام لما قام به منذ لحظات.

واستدار الصيني الضخم ليهبط الجبل من الناحية الأخرى، برشاقة لا تتناسب مع حجمه الهائل.

* * *

جرى المشهد الأخير في «هونج كونج»[1] في منتصف ظهر اليوم التالي في أحد قصورها الذي تحيطه مساحة واسعة من الحدائق والساحات التي امتلأت بعشرات الحراس والمقاتلين.

فعندما أنهى «هوشي يانج» حمامه البخاري اليومي وغادر الحمام الفاخر الذي استورد رخامه الثمين من إيطاليا.. كان هناك ثلاثة رجال في انتظاره بالقاعة الواسعة التي يتصدرها تنين ذهبي كبير الحجم، يعتبر تحفة في الجمال ودقة الصنع.. له عينان من الياقوت الأحمر الناري ومخالب وأنياب ماسية تخطف الأبصار.. أما ذيله فكان مرصعاً بحبات من الزمرد الأخضر.

وعندما تبدَّى «هوشي يانج» في مدخل القاعة بملابسه

---

(١) وتكتب كل الاسماء الصينية ايضاً بحرف «غ» مثل «هونغ كونغ» او «يانغ»

الفضفاضة الملونة، انحنى الرجال الثلاثة في احترام بالغ حتى كادت رؤوسهم تمس سيقانهم . .

كان أحد هؤلاء الثلاثة بعين زجاجية والآخر له أنف مبتور وأذن مشوهة، أما الثالث فكان ضخم الجثة هائل القوة.

أخذ «هوشي» مكانه فوق مقعده العاجي وأشعل غليونه قبل أن ينطق بشيء. . كانت له ملامح صغيرة ضئيلة ورأس صلعاء وذقن مثلثة بيضاء. وكان مشهده يوحي بالهدوء والدعة، إلا أن عينيه كفيلة بقتل عشرات الأشخاص في أي مكان بالعالم أو عقد صفقات بمئات الملايين.

وألقى «هوشي يانج» نظرة إلى رقعة شطرنج أمامه. . كان يحب دائماً أن يلعب الشِطرنج من أجل التفكير في عمق وصفاء الذهن.

وكانت لديه عادة غريبة غير مسبوقة. . في أنه دائماً يلعب الشطرنج وحده. . كان يلاعب نفسه. . اذ لم يكن هناك إنسان له قدرته الفذة على ملاعبته. . أو تحدي ذكائه!

كانت الرقعة جاهزة للَّعب وكان يفضل دائماً اللون الأسود. . وحرك «هوشي يانج» الملقب« بالتنين الذهبي» أول قطعه السوداء المنحوتة من العاج وتساءل دون أن يرفع عينيه

عن لوحة اللعب : هل تمت المهمة على ما يجب يا «شان لي»؟

فأجابه الصيني ذو العين الزجاجية : لقد تخلصت من العميل المصري بطلقة واحدة ، وتم نقل صناديق المخدرات إلى السفينة الكبيرة دون مشاكل ، وأبحرت بحمولتها إلى الشرق الأوسط. وتحركت أصابع «هوشي يانج» لتلقي بأحد البيادق[1] البيضاء جانباً بعد أن زال عن الوجود في الواقع .

وألقى «هوشي يانج» نظرة متسائلة نحو الصيني ذي الأنف المبتور قائلاً : وأنت يا «كاناكا»؟ فأجابه : إن جثة ذلك المصري لا تزال معلقة في مكانها على أطراف الغابة تنهشها الصقور والعقبان . . أما عملية جمع المحصول فهي تتم في هدوء ودون إزعاج أو تطفل .

مرة أخرى تحركت أصابع «هوشي يانج» لتلقي بأحد بيادق خصمه بعيداً عن رقعة الشطرنج وأشار «هوشي يانج» إلى الصيني الضخم متسائلاً : وأنت يا «بروس»؟

---

(١) البيادق لفظ فارسي يطلق على عساكر لعبة الشطرنج ، وقد تحولت في اللغة العربية الى كلمة «بياده» يعني جند المشاة .

أجاب الصيني الهائل الحجم : لقد ألقيت بهذا العربي إلى الجحيم بدفعة صغيرة من يدي . . أما عمليات التحميل فهي تجري كالمعتاد في مصنعنا فوق جبال «تاييه» لتأخذ طريقها إلى الخارج .

تحركت يد «هوشي» لتلقي بيدقاً آخر أبيض اللون . وفكر في رضا . خسر خصمه ثلاث بيادق دون أن يخسر هو شيئاً . فما اعتاد الخسارة أبداً!

أومأ «هوشي يانج» برأسه في ارتياح . . وعاود حشو غليونه وأشار لرجاله الثلاثة بالانصراف فتراجعوا في احترام بالغ نحو الباب القريب .

ودخل القاعة أحد المساعدين وهو يحمل في يده برقية . ما أن ألقى «هوشي» نظرة عليها حتى تعقد حاجباه وبان فيهما شيء من الغضب وهو يقول : ألن يكف هؤلاء المصريون الحمقى عن إرسال المزيد من عملائهم إلينا . . هل يظنون أنهم سيوقفون أعمالنا وسيمنعوننا من إرسال بضاعتنا إلى بلادهم بكشفهم أسرارنا ومحاولة عرقلة نشاطنا وإيقافه؟

وبإشارة خاصة من يده أوقف انسحاب رجاله الثلاثة من القاعة ، وفي صوت عميق غاضب قال لهم : هناك مهمة

أخرى تنتظركم . . وهي مهمة عاجلة . . عاجلة جداً .

فتساءل «شيان لي» في حذر : وأي منا سيقوم بتلك المهمة يا سيدي؟

أجاب «هوشي يانج» : أنتم الثلاثة!

فترامق الرجال الثلاثة في دهشة . فلم يحدث من قبل أن كلفهم رئيسهم بمهمة قتال واحدة يقومون بها معاً . . وتساءلوا ترى هل ذلك الشخص القادم من «مصر» ، يمثل ذلك القدر من الخطورة؟

وأكمل «هوشي» في صوت قاسٍ : إن المعلومات التي وصلتني تقول أن ذلك العميل القادم من «مصر» هذه المرة من أفضل العملاء المصريين . . بل ومن أفضل رجال المخابرات في العالم . . وقد جاء على عجل بسبب قتل عدد من عملاء بلاده على أيدينا في الفترة الأخيرة . . وأنا أرغب في أن أحصل على جثة هذا المصري . . ولأرسله في صندوق مختوم بشعاري إلى بلاده حتى يتوقفوا عن إرسال المزيد من رجالهم إلينا لمضايقتنا وتعطيل أعمالنا .

وضاقت عيناه أكثر وهو يضيف : سوف يصل هذا المصري

إلى «هونج كونج» بعد ساعات قليلة . . وأريد أن تأتوني برأسه . . قبل منتصف تلك الليلة!

أومأ الصينيون الثلاثة برؤوسهم بنعم . . وعاودوا انسحابهم قبل أن يغادروا القاعة .

وتحركت أصابع «هوشي يانج» سريعاً نحو رقعة الشطرنج وأمسك بأحد البيادق البيضاء ولكنه تردد هذه المرة . . فالمعلومات التي جاءته كانت تقول أن خصمه شديد المهارة بالغ الخطورة هذه المرة . . وليس مجرد «بيدق» صغير .

وكان «هوشي يانج» يعطي لكل إنسان قدره دائماً . ولذلك تحركت أصابعه نحو الحصان الأبيض . حصان منافسه الوهمي ثم ألقاه جانباً ، من قبل أن يعود رجاله إليه بالخبر اليقين وجثة العميل المصري الجديد .

فقد كان واثقاً من النتيجة ككل مرة .

فلم يحدث أن خسر «هوشي يانج» أبداً .

لم يخسر من قبل . . ولا مرة واحدة . . ولم يحدث أن عاش أحد أعدائه . . ليقول أنه نجا من إنتقام «التنين الذهبي» .

كانت النتيجة الوحيدة المؤكدة هي الموت لذلك المصري . . القادم إلى مدينة «التنين الذهبي . »

مدينة التنين الذهبي

حلقت الطائرة الجامبو العملاقة ليلاً فوق مطار «كامى أتاك» في أطراف جزيرة «هونج كونج» التي تلألأت بالأنوار من أسفل، فبدت كأنها حبات من الماس مرتشقة فوق صفحة الماء. ثم درجت الطائرة العملاقة فوق ممر الهبوط الذي يمتد فوق الماء مسافة كيلومتر، أُستخدمت فيه أحدث وسائل التكنولوجيا لإنشائه . .

وعندما غادر «ماجد» المطار الفاخر حاملاً حقيبته الصغيرة استقبله رذاذ خفيف من المطر. وأشار إلى أول تاكسي صادفه، وأخذ مكانه في المقعد الخلفي وهو يقول للسائق : فندق «الشيراتون».

وأخذ التاكسي طريقه بصعوبة داخل زحمة المرور . . ثم

توقف عندما قطع الطريق أمامه أحد الكرنفالات الاحتفالية، وقد ظهر عشرات من الرهبان الصينين في ملابس الحيوانات الملونة الضخمة، يسيرون خلف تمثال ضخم لبوذا، وقد راح البعض الآخر منهم يرقصون ويرتلون الأنغام.

وقال ماجد لسائق التاكسي: إننا لن نستطيع البقاء في مكاننا طوال الليل حتى ينتهي الاحتفال ويخلو الطريق.. ألا يمكننا الذهاب إلى الفندق من طريق آخر؟

أجاب السائق وهو يرمق ماجد في مرآة سيارته الداخلية: بالطبع يا سيدي.. ولكن الطريق الآخر يمر بالمقابر.. فهل تفضل هذا الطريق؟

كانت لهجة السائق مريبة.. وعندما خلع نظاراته السوداء تنبه ماجد إلى أن للسائق عيناً زجاجية ميتة لا حياة فيها!

والتقط السائق شيئاً من أسفل قدميه ثم استدار بسرعة الى المقعد الخلفي شاهراً بندقيته وهو يقول: وعادة فلا يسلك ذلك الطريق غير الموتى!

وأطلق السائق بندقيته التي ضاع صوت طلقتها في صخب الاحتفال الكرنفالي.. ولكن الرصاصة لم تصب هدفها على

الاطلاق . . فعندما انحنى السائق ليلتقط بندقيته من تحت مقعده الأمامي كانت تلك اللحظة القصيرة كافية لماجد لكي يدرك الحقيقة . . وفي لحظة خاطفة كان قد اصبح خارج السيارة .

واستدار «شيان لي» ساخطاً وهو يقول : أين اختفى هذا المخادع؟

وجاءته الإجابة سريعاً على شكل لكمة هائلة اخترقت زجاج سيارته وأصابته في وجهه فهشمت أنفه ، وأتبعها أخرى أسقطت نصف أسنانه وهشمت فكه . ثم هوى كفا ماجد فوق أذني «شيان لي» في ضربة مباغتة ، وصرخ الصيني وقفز من مكانه لشدة الدوي فوق أذنيه والصفير الهائل الذي انفجر فيهما . كانت الأذنان قد أصيبتا بالصمم لشدة الضربة!

وأطل ماجد من اليسار نحو «شيان لي» الذي سقط في أرضية السيارة يئن من الألم ، وقال له ساخراً : إنني أرى أنك بحاجة لأن تأخذ طريق المستشفى . . فعادة لا يسلك ذلك الطريق إلا من تهشمت أنوفهم ، ولم تعد لأذانهم فائدة سوى أن تعلق فيها الحلقان!

وقبل أن ينطق «شيان لي» بشيء كان ماجد قد غاب عن الأنظار وسط صخب الكرنفال وآلاف المشاهدين المحتشدين في المكان.

واقترب من عربة «ريكشا» [1] كانت تقف على الناصية التالية، وأخذ مقعده بداخلها محتمياً من الأمطار التي بدأت في الهطول وهو يقول لقائدها: إلى شيراتون.. وبسرعة؟

ولم يجاوبه سائق «الريكشا» بغير بصقة على الأرض. ثم انحنى على عربته، وبدلاً من أن يمسك بذراعيها التقط شيئاً إلى جواره كان يخفيه الظلام وصوبه إلى صدر ماجد داخل عربة «الريكشا».

ولكن السهم المسموم استقر في جدار عربة «الريكشا» دون أن يصيب أحداً ما.. ذلك لأن الراكب الذي كان جالساً على مقعده منذ لحظة.. لم يعد له وجود في نفس المكان في اللحظة التالية!

---

(١) «الريكشا» وسيلة مواصلات شائعة من جنوب آسيا، وهي عبارة عن عربة صغيرة يجرها صاحبها

واستدار «كاناكا» غاضباً وهو يقول : أين ذهب هذا الثعلب؟

وجاوبه صوت رقيق من الخلف يسأله : هل تبحث عني يا صاحب الأنف القبيح؟

وقبل أن يفيق «كاناكا» من المفاجآة كانت قبضة ماجد قد أخذت طريقها مثل طلقة المدفع لتصيبه في فكه بقوة ابتلع معها الصيني المشوه الوجه أسنانه المحطمة، واندفعت قدم ماجد إلى بطن «كاناكا» في ضربة مخيفة تقوس لها الصيني ومعدته تتمزق من الألم. وبضربة من أسفل لأعلى بقبضة ماجد تهشم فك «كاناكا» تماماً، فسقط على الأرض والدماء تنزف منه بغزارة.. وقد وضح أن الفك لن يصلح لشيء بعد ذلك.. ولا حتى لرشف السوائل بواسطة مصاصة!

وألقى ماجد نظرة أخيرة على غريمه وهو يقول له : لا شك انك من الغد ستتلقى عروضاً مغرية لتعرض وجهك القبيح في بيوت الرعب بالملاهي لإخافة الأطفال والنساء و العجائز، فشخص مبتور الأنف وبلا فك على الإطلاق ليس مما يشاهده الناس كل يوم ولا حتى في برامج أعجب المخلوقات!

ما كان الظلام يبتلع ماجد مرة أخرى وقد تأكد له أن وصوله إلى «هونج كونج» لم يكن سراً بأي حال من الأحوال، وأن أمراً قد صدر بالتخلص منه. . ولم يكن هناك شك في مَنْ أصدر ذلك الأمر!

وكان على ماجد أن يكون أكثر حذراً في تلك المدينة المخادعة. . ولكنه ما كاد يبتعد قليلاً حتى قطع عليه الطريق أحد الرهبان البوذيين في ملابس زاهية فضفاضة ووجه يخفيه قناع قرد ضخم. . وكان الراهب بديناً هائل الحجم بشكل عجيب فأشار له ماجد قائلاً: إن قناع وجه القرد غير ملائم بالنسبة لحجمك. . وكان من الأنسب أن ترتدي قناع فيل!

وزمجر الراهب البوذي وألقى قناعه عن وجهه في غضب هائل. . كان هو «بروس». . وارتعشت أطرافه من الغضب وهو يقول: أيها اللعين. . لقد حان أوان نهايتك.

وامتدت ذراعا الصيني العملاق نحو رقبة ماجد. . ولكن الذراعين لم تقبضا إلا على الهواء، ذلك لأن ماجد كان قد تحرك في اللحظة المناسبة. . ولو أطبقت عليه الذراعان العملاقتان لما تمكن من النجاة منهما أبداً.

وخار «بروس» مثل ثور بري وهو يدور حول نفسه باحثاً عن غريمه . . وفاجأه صوت من أعلى يقول له : أنا هنا أيها البدين الغبي .

ورفع الصيني الضخم عينيه لأعلى فكان ذلك هو آخر ما رآه بهما . كان ماجد معلقاً أسفل لوحة إعلانية عالية قد تشبث بها ، وبحركة سريعة مباغتة صوب ضربةً مزدوجة بقدميه الاثنتين أصابتا عيني الصيني العملاق فانبثقت منهما الدماء . . ودار «بروس» في الهواء حول نفسه من الألم الرهيب . . وتأرجح ماجد بقوة وهو معلق في مكانه أسفل اللوحة الإعلانية ، ثم قفز لأسفل وأطبق بساقيه حول رقبة «بروس» وراح يضغط عليها بعنف هائل .

وزأر الصيني العملاق من الغضب والألم وأمسكَ بساقيْ ماجد محاولاً إزاحتهما عن رقبته ، ولكنَّ يدي ماجد كانتا أسبق منه . فقد هوتا فوق صدغي بروس في لحظة واحدة ، فصرخ الصيني العملاق من الألم الشديد وارتمى على الأرض دون حراك .

واستعاد ماجد حقيبته الصغيرة التي سقطت منه ، وألقى

نظرة إلى الصيني العملاق الممدد على الأرض وقال له : الآن لن تستطيع أن تؤذي ذبابة أيها الوغد .

* * *

حدق «هوشي يانج» في رجاله الثلاثة بعيون حمراء بلون الدم .

كانوا واقفين أمامه يعتصرهم الألم . . أولهم بأنف مهشم وأذنين لا تسمعان ، والثاني بفك محطم ، والثالث بعينين لا تريان يتحسس الطريق أمامه .

راقب «التنين الذهبي» رجاله الثلاثة وهو لا يكاد يصدق ما يراه أمامه . . فلأول مرة يتمكن إنسان ما من إصابة رجاله بمثل تلك الطريقة التي ما عادوا يصلحون بعدها لشيء .

كانت المرة الأولى التي يشعر فيها «هوشي يانج» «بمثل ذلك الغضب الذي يجتاحه ويعصف به . . وتساءل من بين صرير أسنانه : هل فعل بكم رجل واحد كل ذلك؟

كان الوحيد الذي أجاب هو «كاناكا» من بين فكه المهشم قائلاً : إنه رجل لا مثيل له وغير كل الرجال الآخرين الذين

قاتلناهم من قبل.

ارتسمت نظرة قاسية كالصخر في عين «هوشي يانج» وقال: أنت على حق.. فهو يبدو لي رجلاً مختلفاً وإلا لما تركُكم أحياء بعد أن فعل بكم كل ذلك.. فهو يوجه لي رسالة من خلالكم.. ولقد وعيتها جيداً.

وضاقت عيناه أكثر عن ذي قبل، وأكمل في صوت مخيف: أما أنتم فلم تعد بي حاجة إليكم، فلا مكان للمهزومين عندي أبداً، لأنهم يذكرونني بلحظة فشل لا أحبها!

وضغط فوق مسند ذراع مقعده، وفي الحال انفتحت كوة في الأرض أسفل الرجال الثلاثة فسقطوا داخلها صارخين من المفاجأة المذهلة. وبعد لحظة دوى صوت اصطدامهم بمياه البركة العميقة الباردة تحت القصر وهم يتخبطون في مياهها في فزع ورعب.

وسرعان ما تلاشى صراخهم، عندما اندفعت التماسيح الضخمة من أطراف البركة.. لتلتهم فريستها البشرية الحية، ولا تبقي منها حتى العظام!

راقب «هوشي يانج» التماسيح وهي تقوم بمهمتها في سرعة

ودون تمهل . . وعندما انتهى كل شيء ضغط على ذراع مقعده ثانية فعادت الأرضية مكانها كما كانت بمنظرها البريء . وألقى «هوشي يانج» نظرة إلى تمثال «التنين الذهبي» . . كانت تبدو في العينين الياقوتيتين نظرة رضا وحشية .

وغرق «التنين الذهبي» في تفكير عميق .

كانت الرسالة قد وصلته واضحة لا ريب فيها . . رسالة التحدي .

لم يكن هناك شك في أن ذلك المصري قد جاء إليه متحدياً . . داخل عرينه!

وأصابه ذلك الخاطر بغضب أكبر . . فطوال عمره لم يجرؤ إنسان على تحديه . . فما بالك بذلك الأحمق الذي جاء لينازله في أرضه؟

وامتدت أصابع «هوشي» مرتعدة لتقبض على ثلاثة من بيادق لوحة الشطرنج . . ثلاثة بيادق سوداء كانت تنتصب مدافعة فوق أرضه هو . . ولم يعد لها وجود في تلك اللحظة بعد أن التهمتها تماسيح البركة .

وألقى «التنين الذهبي» بالبيادق الثلاثة بعيداً في غضب .

لأول مرة يخسر . . وفوق أرضه . . ويفقد بعض رجاله وحراسه!

وعادت أصابع «هوشي يانج» تلتقط حصان رقعة منافسه وأعاده إلى مكانه في الرقعة . . بين القطع البيضاء التي صمدت أمامه لأول مرة .

وفي جنون امتدت يدا «هوشي يانج» لتجذبا حبلاً إلى يساره في عنف وضراوة . . وفي الحال دق ناقوس ضخم في أبهاء القصر . . ورددت كل الأنحاء حول القصر صدى دقات الناقوس المدوية .

وفي اللحظة التالية اندفع عشرات من رجال «هوشي يانج» في ملابس القتال ، ووقفوا داخل القاعة الفسيحة متراصين في تأهب يطل من عيونهم بريق دموي . . مخيف .

وضاقت عينا «هوشي يانج» إلى أقصى حد وهو يقول: أريد رأس هذا المصري . . ابحثوا عنه في كل مكان بالمدينة . . نقبوا وفتشوا كل الفنادق والمنازل . . ولا تتركوا شبراً دون أن تفحصوه حتى تأتوني بهذا الشاب . . ورأسه تقطر منها الدماء . . قبل أن يأتي الصباح .

وعلا صوته وهو يصرخ في رجاله : اذهبوا حالاً .

فتدافع المسلحون يغادرون المكان مثل كلاب الصيد . . وليس لهم غير هدف وحيد . . القتل!

وامتدت أصابع «هوشي يانغ» نحو لوحة الشطرنج .

ومرة أخرى التقط الحصان العاجي الأبيض من الرقعة . . حصان منافسه . وتقلصت أصابعه فوق رأس الحصان فكسرها في عنف . . ثم ألقاها بعيداً .

كان متأكداً من النتيجة تلك المرة .

فأي رجل مهما كانت مهارته وكفاءته يمكن أن ينجو من الموت . . وهناك مئات من كلاب الصيد المسعورة . . تسعى في أثره؟

* * *

المهمة الانتحارية

يبلغ طول جزيرة «هونج كونج» ١٨ كيلومتراً وعرضها حوالي خمسة كيلومترات. . ولكنها وبرغم حجمها الضئيل تزدحم بملايين من البشر يعيشون ويعملون وينامون في قلب تلك الجزيرة الضئيلة الواقعة على شاطئ «البحر الصيني الجنوبي» على أطراف المحيط «الهادى» . . والتي ترتفع بعض تلالها بشكل حاد وخاصة قرب شاطئ البحر إلى ما يزيد عن أربعمائة متر .

ولكن من يعرف هذه الجزيرة جيداً يستطيع أن يشقها كما تفعل السكين في قالب الزبدة . وهكذا كان حال كلاب الصيد التي انطلقت تبحث عن طريدتها بجنون داخل كل أركان الجزيرة و كل شبر فيها .

ولم تكن الأوامر قد صدرت لكلاب الصيد فقط بالبحث . . بل كانت هناك عيون أخرى تقدر بالآلاف مهمتها أن تراقب وتبلغ بالنتائج والتقارير . في العادة يكون أصحابها عمالاً أو صيادين فقراء أو باعة متجولين ، مهمتهم تنحصر في مراقبة أي شخص غريب يشتبه فيه .

وفي تلك الليلة لم تنم «هونج كونج» . . فقد تحولت الجزيرة إلى ما يشبه ساحة المعركة ، وأولئك الذئاب من كلاب الصيد ينقبون كل شبر فيها . . ويقتحمون فنادقها وبيوتها باحثين عن ذلك المصري . . خاصة وقد زادت المكافأة المرصودة من شراهة البحث للفوز بها .

كانت المكافأة التي رصدها «هوشي يانج» لمن يأتيه بأي خبر عن «ماجد شريف» تبلغ مائة ألف دولار . . وفي العادة كان أمثال كلاب الصيد أولئك على استعداد لقتل كل أهاليهم مقابل الحصول على واحد من آلاف ذلك المبلغ .

ولكن برغم ذلك فإن البحث المحموم لم يسفر عن شيء حتى الفجر التالي . . وعندما أشرقت شمس الصباح كانت كلاب الصيد قد أصابها الإرهاق لطول البحث .

كانت هي المرة الأولى التي تفشل فيها كلاب الصيد في العثور على طريدتها!

ذلك لأن الطريدة هذه المرة . . لم تكن ككل مرة!

فقد أدرك ماجد منذ اللحظة الأولى أن الجزيرة كلها ستنقلب بحثاً عنه وتسعى في أثره وأن الأمر الوحيد الذي سيصدره «هوشي يانج» . . سيكون الأمر بقتله!

وقبل أن يخطو «ماجد شريف» فوق تلك الجزيرة كان يعرف من هو «هوشي يانج» رجل الجريمة الأولى في كل آسيا . . الرجل الذي يدير إمبراطورية للجريمة في كل أنحاء «آسيا» والملقب «بالتنين الذهبي» والذي يعمل تحت أمرته آلاف الأتباع ويسيطرون على عملية زراعة وتجارة المخدرات في «جنوب آسيا» . . حيث تأخذ تلك السموم طريقها إلى بلاد الشرق بعد ذلك . . وخاصة مصر .

وقد كانت تلك هي بداية العملية التي أُطلق عليها اسم «التنين الذهبي» .

ولم يكن المطلوب من العملاء الآخرين التابعين للسيد «م» غير مراقبة ورصد عملية زراعة وتصنيع المخدرات التي يقوم بها

أتباع «هوشي يانج» ثم مراقبة عملية الشحن والتصدير للخارج. . وكان السيد «م» يرغب في أن تتجمع لديه كل خيوط العملية في سرية تامة قبل أن يقرر ما هي الطريقة المناسبة لقطع الطريق على شحنات المخدرات القادمة إلى «مصر» لحماية شبابها واقتصادها.

ولذلك كانت أوامر «م» لثلاثة من أفضل رجاله في آسيا وهم «ممدوح رفعت» ورقمه «٢١٦» و«شريف عدلي» ورقمه «١١٢» و«سليم جابر» ورقمه «٣٠٤»، كانت الأوامر الصادرة للرجال الثلاثة هي رصد كل ما يخص شحنات السموم التي تأخذ طريقها إلى «مصر».

غير أن قتل المصريين الثلاثة غيّر خطط السيد «م» تماماً.

ولأول مرة يراه ماجد غاضباً بتلك الدرجة. . فقتل أحد العملاء ليس شيئاً هيناً. . فما الحال لو كان عدد القتلى ثلاثة من أفضل العملاء؟

ليس هذا فقط. . بل كان مغزى القتل واضحاً. . وهو أن مهمة هؤلاء العملاء كانت مكشوفة من البداية. . فقد كان الفضل راجعاً إلى عيون آلاف من عملاء «هوشي يانج»

المندسين في كل مكان يراقبون ويبعثون بتقاريرهم عن كل غريب يطأ البلاد.

ولم يكن أمام السيد «م» غير خيار وحيد.. أن يرسل برجله الأول.. وأفضل عميل في جهاز المخابرات المصري على الإطلاق... «رجل المهام الصعبة»!

وكانت مهمة «ماجد شريف» تلك المرة تختلف تماماً.. فقد كانت مهمة انتحارية عليه فيها أن يقتحم عرين «التنين الذهبي».. ثم يمحوه من الوجود، فبإزاحته من قلعته ستنهار إمبراطوريته تماماً.

كانت مهمة تبلغ نسبة نجاحها واحداً على الألف.

أما نسبة احتمال خروج رقم (٧٠٠) منها سالماً، فلم تكن تصل إلى واحد على المليون خاصة وهو يعرف أنه منذ اللحظة الأولى لوصوله «هونج كونج» سيكون تحت المراقبة والمطاردة.

ولكن رقم (٧٠٠) لم يكن ممن يهابون أو يتراجعون لأي سبب.. بل يمكن القول أنه كلما زادت درجة الخطر انفتحت شهية «ماجد شريف» للعمل أكثر.

وهكذا بدأت المهمة.. والمطاردة!!

المطاردة الرهيبة

لم يكن ماجد ممن يفكرون أو يختارون الحلول بطريقة تقليدية. . وربما بسبب ذلك نجا من كثير من الأخطار القاتلة التي صادفته عشرات المرات من قبل.

ولقد اتبع نفس الأسلوب هذه المرة. . فمن الذي كان يمكنه أن يشك في قارب صيد صغير ضئيل تفوح منه رائحة «زفار» السمك على شاطئ الجزيرة لكي يقوم بتفتيشه بحثاً عن الصيد المطلوب؟

كانت كلاب الصيد ذات حاسة شم حادة. . ولكن اختيار ذلك القارب المتهالك وصاحبه العجوز الطيب لم يكن عبثاً!

وهكذا استيقظ ماجد في الصباح وهو يشعر بنشاط بالغ كأنه نام عاماً كاملاً. . بالرغم من أن ساعات نومه لم تتجاوز

اربع ساعات . . ولكنها كانت كافية ليستعيد «رجل المهام الصعبة» نشاطه وقدرته على العمل .

وتناول ماجد حقيبته الصغيرة والتقط منها ورقة بمائة دولار صبغ طرفها باللون الأحمر بسبب انسكاب بعض عصير الفراولة فوقها في رحلة الطائرة ، وناول ماجد الورقة المالية الى صاحب الزورق العجوز قائلاً له : خذ هذه الورقة المالية لأجل إفطارك أيها الصياد الطيب .

وحدّق الصياد العجوز في المبلغ الذي منحه إياه ماجد فاتسعت عيناه بدهشة عظيمة . . فقد كان يمكنه بهذا المال شراء قارب جديد . . ونظر إلى ماجد في شك متسائلاً : ما دمت تملك هذا المال يا سيدي ، فلماذا اخترت النوم في قاربي بدلاً من النوم في فندق فاخر؟

أجابه ماجد باسماً : ربما لأنني رجل متواضع . . لا أنجذب للإقامة في الأماكن الفاخرة ، فتذكر أيها الشيخ العجوز ان تكون متواضعاً . . . لكي تعيش طويلاً! ولكن عيني العجوز امتلأتا بالقلق وقال لماجد : حاذر يا ولدي . . فإن «التنين الذهبي» ورجاله لا يرحمون إنساناً . . ولن يتركوك تنعم بحريتك طويلاً!

فسأله ماجد في دهشة : هل كنت تعرف أن كلاب الصيد تلك تطاردني؟

أجاب الصياد : لقد عرفت ذلك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها تطلب مني قضاء الليل في القارب . . وما كان يمكن أن أرفض طلبك .

ماجد : ألم تخش من أن يعاقبك «التنين الذهبي» أو رجاله إذا عرفوا أنك ساعدتني؟

مسح الصياد دمعة ترقرقت في عينيه وقال : لقد طارد رجال «التنين الذهبي» ابني الوحيد منذ بضع سنوات لأنه رفض أن ينضم لعصابتهم . . ولم يجد ابني من يخفيه عن أولئك المجرمين فقتلوه وألقوا بجثته لأسماك البحر . . فكيف كنت سأرفض مساعدتك وايواءك بعد ذلك؟

حدّق ماجد في العجوز في صمت ، ثم قال أخيراً: لسوف يدفع أولئك الأوغاد ثمن دماء ابنك غالياً . . وأعدك بذلك .

ولوّح ماجد لصاحب القارب العجوز ثم قفز إلى الشاطئ .

وهناك لمحته عيون أحد كلاب الصيد . . فصاح صاحبها في غضب وأشار لزملائه نحو ماجد .

وهكذا بدأت المعركة . . أو المطاردة .

فقد اندفع ما لا يقل عن عشرين شخصاً وهم يصرخون ويزأرون حاملين السكاكين والخناجر والسلاسل الحديدية في حصار حول طريدتهم .

ولقد واجه ماجد نفس ذلك الموقف من قبل كثيراً . . وكان متأهباً للعمل هذه المرة . . ككل مرة .

فقد انحنى ليتحاشى ضربة السكين التي كادت تستقر في عنقه ، وعاجل صاحبها بضربة بقبضته كانت من القوة بحيث دفعت ذلك الشخص للخلف مصطدماً باثنين من زملائه فتهاووا على الأرض معاً .

ثم استقام ماجد في اللحظة التالية مصوباً بقدمه اليمنى ضربة جعلت وجه أحد خصومه ينبعج . . وبقدمه اليسرى صد ضربة خنجرٍ أطاحت به بعيداً . . وبنفس القدم صوّب ماجد ضربة تالية لصدر صاحب الخنجر كسرت له ستة من ضلوعه .

وهجم الباقون على ماجد مطلقين صرخات مفزعة وهم يحاصرونه على شكل حلقة محكمة لا فرار منها . ولكن ماجد قفز عالياً ولم يشعر به مهاجموه إلا عندما صار فوق كتف

أحدهم، ودفعه ماجد بعنف بقدميه فسقط ذلك الشخص في قلب الدائرة حيث كان نصيبه سكينة من زميل له رُشِقَتْ دون قصد في كتفه.

ولكن سرعان ما اتسعت دائرة المطاردة سريعاً.. فقد أقبلت مجموعة أخرى من المطاردين من الخلف.. ومجموعة ثالثة من الأمام.

وكانت المجموعة الأخيرة تمتلك أسلحة نارية.. وسرعان ما دوت طلقات الرصاص مثل رخات المطر، فألقى ماجد بنفسه على الأرض متدحرجاً بقوة ومحتمياً خلف إحدى الشاحنات الضخمة في الميناء.. واندفع خلفه العشرات من المطاردين ولكن ماجد التقط شيئاً من حقيبته ألقاه تجاه مطارديه فتصاعد دخان كثيف اعماهم عن النظر.

وتعالى سعال وسباب كلاب الصيد.. واخترقوا الدخان الكثيف نحو الشاحنة الضخمة. ولكنهم تراجعوا في نفس اللحظة عندما شاهدوا الشاحنة تتحرك تجاههم.. يقودها «ماجد شريف»!

وتعالى صياح المهاجمين وهم يفسحون الطريق فزعين

للشاحنة . التي أطاحت بستة منهم ألقتهم على الرصيف محطمي العظام ، ثم اندفعت الشاحنة تشق لنفسها طريقاً في الميناء وتطيح بكل من تجده في طريقها .

ولكن سرعان ما تباطأت سرعة الشاحنة بسبب الطلقات التي أصابت إطاراتها و أفرغتها من الهواء .

وصوّب أحد كلاب الصيد بندقيته نحو خزان الوقود في الشاحنة . . ثم أطلق رصاصاته . وفي اللحظة التالية دوى انفجار رهيب . . وتحولت الشاحنة إلى كتلة من النار . وتصايح كلاب الصيد في سرور واندفعوا نحو الشاحنة المحترقة . . وبرغم اللهب الشديد و كرة النار المحيطة بالشاحنة كانت كابينة قيادتها التي شبت فيها النار كانت مكشوفة وواضحة للعيون .

و كانت خالية من أي إنسان!

وصاح البعض غاضبين : لقد هرب هذا الثعلب .

وتصايح آخرون : لنطارده!

واندفعوا في كل اتجاه مهرولين شاهرين أسلحتهم . . وخلال ثوان قليلة ظهرت الساحة خالية منهم بعد أن تفرقوا في كل مكان .

وفي اللحظة التالية برز ماجد من خلف أحد الصناديق الكبيرة في الميناء. . وراقب أعداءه وهو يجرون مبتعدين في كل اتجاه. . فارتسمت ابتسامة ساخرة قاسية فوق ملامحه. . كان من السهل دائماً خداع مثل كلاب الصيد تلك!

وأكمل ماجد طريقه إلى مدخل الميناء. . وهناك لمح بعض مطارديه وقد عادوا ثانية بعد أن أعياهم البحث عنه.

وما أن شاهدوه حتى تعالى صياحهم مرة أخرى.

وهكذا اشتعلت المطاردة من جديد!

ولكن عدد كلاب الصيد كان قد تضاعف مرات عديدة. . وكان من الحماقة لماجد الدخول في معركة ضدهم. . ولذلك سرعان ما كان «رجل المهام الصعبة» يقطع رصيف الميناء متحاشياً الطلقات التي انهمرت فوقه. . ثم قفز إلى قارب صغير بمحرك بخاري كان يقف إلى رصيف الميناء.

وجذب ماجد حبل القارب في نفس اللحظة التي أدار فيها محركه. . ثم انطلق به يشق طريقه بصعوبة وسط عشرات القوارب التي يمتلئ بها المكان.

وأحنى ماجد رأسه متحاشياً سيل طلقات الرصاص الذي

انهمر عليه من رصيف الميناء . . وما أن رفع رأسه حتى صدمه المشهد الجديد فقد كان هناك حصار آخر حوله .

حصار من قوارب كلاب الصيد .

ولم يكن يحتمل أي تمهل . . فأدار ماجد محرك قاربه بكل سرعته واندفع نحو أقرب قوارب مطارديه ليشقه نصفين ثم يأخذ طريقه إلى قلب المياه الواسعة .

وانطلقت عشرات القوارب خلف ماجد في مطاردة قاتلة .

كان قارب ماجد متقدماً بمئات الأمتار ، ولكن سرعان ما تناقصت تلك المسافة عن مطارديه . . فقد كانت القوارب الأخرى أسرع وأقوى . . واكتشف ماجد بضعة ثقوب في قاربه كان يندفع منها الماء إليه فيبطئ سرعته ويهدده بالغرق .

وكان على ماجد العمل فامتدت يده إلى حقيبته وأخرج مسدسه الصغير المفضل ، واستدار إلى الخلف وصوّب أولى رصاصاته لمحرك أقرب الزوارق إليه .

وأطلق الرصاصة فانفجر القارب بركابه . . وأطلق رصاصة أخرى . . وثالثة . . ورابعة . . وتحولت المياه إلى جحيم مشتعل .

ولكن بقية القوارب اندفعت خلف ماجد في مطاردة جنونية . . وسرعان ما نفد رصاص مسدسه ولم تعد له أية قيمة . . وتباطأت سرعة قاربه كثيراً . . وهناك ما يزيد عن عشرين قارباً قد اندفعوا خلفه يرغبون في الحصول عليه حياً أو ميتاً .

كان الموقف ميئوساً منه . . وليس لدى ماجد أي سلاح آخر .

ولكن «رجل المهام الصعبة» لم يكن ممن يستسلمون لليأس مهما كان . . وكان عقله يستوعب المواقف الصعبة مهما كانت ، ليبتكر حلولاً لا تخطر على بال غيره .

وقد كان التصرف الذي قام به ماجد في تلك اللحظة هو أحدها . . فقد لمح باخرة ضخمة تأخذ طريقها إلى الميناء في نفس اللحظة .

وفي مخاطرة جنونية اندفع ماجد بقاربه المتباطئ نحو مقدمة الباخرة الضخمة . . وتصايح مطاردوه صارخين : ما الذي يفعله هذا المجنون؟

وفي اللحظة التالية اندفعت مقدمة الباخرة لتشق قارب ماجد إلى نصفين وتهشمه إلى شظايا تسحقها تحتها ، حيث كان

يستحيل أن ينجو منها أي مخلوق .

وتصايح كلاب الصيد واندفعوا هاربين من وجه الباخرة الضخمة قبل أن يلاقوا نفس المصير ، وسرعان ما كانت هناك رسائل لاسلكية تصل إلى الساكن في ذلك القصر بأطراف الجزيرة لتنبئه بغرق وقتل «ماجد شريف» . . فجاءت الأوامر إليهم سريعة بضرورة الحصول على جثته وإحضارها لقصر «التنين الذهبي» .

ولكن كيف كان يمكن الحصول على جثة رجل . . لم يمت بعد؟

فقد كان ماجد يرقد في مكان ما متخفياً منتظراً الفرصة المناسبة لظهوره: فمنذ اللحظة الاولى لمخاطرته الجنونية ، ادرك حجم المغامرة التي يعرِّض نفسه لها وهو يترك قاربه لمقدمة الباخرة الضخمة التي سحقته ، ولكنه في نفس اللحظة قفز من القارب بعيداً وهو يصارع دوامات الأمواج التي صنعتها الباخرة ، ثم تعلق بمرساتها التي جذبته معها بعيداً عن مكان مطارديه .

وعندما رفع ماجد رأسه أخيراً فوق سطح الماء كان

مطاردوه قد صاروا على مسافة بعيدة عنه وقد انهمكوا في الغوص داخل المياه العميقة بحثاً عن جثته.

فاكتست ملامح ماجد بنظرة باردة قاسية.. كان ما حدث يمنحه ميزة هامة.. وهي مفاجأة عدوه الذي يظن أنه قد انتقل للعالم الآخر!

وغمغم ماجد لنفسه: لقد حان أوان الانتقام لكل رجالنا الذين قتلهم هذا الوغد المجرم.. ولسوف يدفع الثمن غالياً.

وسبح ماجد في رفق.. وشاهد قارب الصياد العجوز الذي آواه الليلة السابقة، وكان الصياد العجوز جالساً في مكانه المعتاد بمؤخرة قاربه تاركاً للتيار أن يأخذه إلى قلب الميناء، وفكر ماجد في أن ذلك العالم صغير حقاً، ليلاقي نفس ذلك الشيخ العجوز مرة ثانية.

ولوّح ماجد للصياد العجوز وهو يقول له: إذا دعوتني على وجبة سمك طازجة للغذاء فلن أرفض هذه المرة أيضاً.

وتعلّق ماجد بحافة القارب الصغير ثم تسلق لداخله.. ونظر إلى العجوز في ود قائلاً له: إنك الوحيد فوق هذه الجزيرة الذي يمكنني أن أثق فيه.

ولكن الصَّياد العجوز لم ينطق بشيء. . وظلت ملامحه جامدة لا تفصح عن أي تعبير بالسرور أو القلق، فسأله ماجد بدهشة: ماذا بك. . هل أنت مريض؟

ومد يده ليتحسس جبهة الصياد العجوز. . ولكن ما أن لمسه ماجد حتى انكفأ على وجهه في قاع القارب، وظهرت السكين الطويلة المغروزة في ظهره إلى نهايتها. . وفوق قبضتها رسم لتنين ذهبي!

جمد ماجد في مكانه من المفاجأة القاسية. . وشعر كأن كل خلية فيه ترتعد بغضب جنوني. وامتلأت عيناه بدمعتين كبيرتين. . وغمغم في صوت مختنق: أقسم أن أنتقم لك أيها العجوز الطيب. . ولسوف يكون انتقامي مضاعفاً ومدمراً!!

* * *

في قلب الخطر

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل بقليل ، عندما اقترب شبح من أسوار القصر الكبير الذي تحيطه الحدائق الواسعة من الخلف .

كان هناك عدد قليل من الحراس قد انتشروا في المكان حاملين فوق أكتافهم مدافع سريعة الطلقات . ولكن الشبح اقترب في حذر بالغ ، وبخفة تسلق السور العريض ثم قفز إلى الداخل . . وقد ظهرت أمامه تفاصيل القصر الكبير الذي لا يبعد مدخله عن السور كثيراً .

وتحرك الشبح في حذر محتمياً ببعض الأشجار في المكان . . وإلى يساره كانت هناك قناة مائية كبيرة تندفع من الخارج وتمر

بالقرب من القصر، لم يكن من شك في أن سكان القصر وحراسه يحصلون على حاجاتهم من الماء بواسطتها.

فجأة تعالى نباح عدد من كلاب الحراسة واندفعت نحو مكان الشبح، الذي فوجئ بها، ولكنه تصرف في مهارة وبسرعة فألقى بنفسه داخل القناة المائية العميقة، وراح يغوص بهدوء في قلب الماء مبتعداً عن مكانه الأول، وقد راحت الكلاب تدور في مكانها وتنبح في غضب باحثة عن طريدتها التي اختفت فجأة كأنما تبخرت في الهواء.

وواصل الشبح غوصه وسباحته داخل القناة المائية دون صوت حتى صار أمام أبواب القصر الخلفية، فرفع وجهه مستطلعاً المكان حوله.

وكانت المفاجأة القاسية التي واجهته متمثلة في عشرات المدافع الآلية المصوبة إليه من حراس القصر الذين بدوا كأنما نبتوا فجأة في المكان. وجاء صوت «هوشي يانج» من الخلف يقول: لقد توقعت أن تتصرف بتلك الطريقة الذكية.. ولذلك اعددت مسبقاً استقبالا لك أيها العميل الذكي.. الماهر!

وتقابلت عينا الشبح وعيني «التنين الذهبي» اللتين أطلت منهما نظرة حادة صارمة. وأحنى «هوشي يانج» رأسه لماجد وهو يقول: تسرني مقابلتك دون شك.. برغم الطريقة التي تسللت بها إلى داخل قصري، وخدعت بها حتى كلاب الحراسة.

غادر ماجد القناة المائية وعيناه تطالعان الحراس المسلحين حوله. فأشار «هوشي يانج» إلى رجاله إشارة خاصة، فتفرقوا مبتعدين في كل اتجاه، وقد بدا على «التنين الذهبي» كأنما لا يخشى من أي خطر.

قال له ماجد وهو يخفي دهشته: كنت أظن أن رجلاً مثلك لا يمكنه أن يبقى بلا حراسة.. خاصة في وجود شخص خطر بالقرب منه.. مثلي.

شاعت على وجه الصيني ابتسامة ساخرة وقال: يا عزيزي.. لو أن لك عينين تريان في الظلام لشاهدت عشرات المدافع الرشاشة والبنادق المصوبة إليك من أماكن بعيدة جداً وتستطيع إصابتك في غمضة عين.. حتى قبل أن تتمكن من رفع يدك شبراً واحداً!

وزادت ابتسامته اتساعاً وهو يضيف: كما أنني متأكد أنك لست بالغباء الذي يجعلك تحاول قتلي داخل قصري.. دون أن يكون لك أي أمل في النجاة على الإطلاق.. ولا حتى بنسبة واحد في المليون، فالمحترفون لا يخاطرون بحياتهم عادة، إذا تأكدوا أنه لا أمل لهم في النجاة.

حدّق ماجد في الصيني الماكر وسأله: لقد كان باستطاعتك أت تأمر رجالك بقتلي.. فلماذا لم تفعل؟

قهقه «التنين الذهبي» قائلاً: يا عزيزي.. إن الحكمة التي تعلمتها خلال حياتي يجب ألا تذهب سدى.. فطريقتك في التعامل مع ثلاثة من أفضل رجالي وإصابتك لهم لدرجة جعلتني أمنحهم لتماسيحي كوجبة عشاء عن طيب خاطر، وأيضاً طريقتكَ في الهرب من رجالي في الميناء وخدعتك البارعة واصطدامك بالباخرة وتظاهرك بالموت تحتها.. ثم إصرارك على التسلل إلى قصري رغم إدراكك لكل المخاطر التي تنتظرك بداخله.. كل ذلك يجعلني أوقن أنك رجل من طراز فريد، يندر أن يقابل الإنسان مثيلاً له.. ورجل له مثل مواهبك لا يمكنني التفريط فيه، حتى لو كان قد جاء إلى تلك البلاد.. لقتلي!

ضاقت عينا ماجد إلى أقصى حد وهو يقول : إنني لا أفهم ما الذي ترمي إليه؟

شاعت نظرة خبيثة على وجه «هوشي يانج» وهو يقول : لماذا لا نؤجل بقية حديثنا إلى ما بعد العشاء. . فلا شك أنك جائع ولم تتناول طعامك منذ وقت.

قال ماجد ساخراً : هذا صحيح . . فمطاردة رجالك لي وانشغالي بقتالهم لم يتح لي الوقت الكافي لتناول الطعام . . فإنني عندما أنهمك في القتال عادة أنسى الطعام تماماً!

«هوشي يانج» : حسناً . . إنك مدعو للعشاء في قصري .

وتقدم الصيني ماجداً تجاه قصره فتبعه في صمت وعقله مشحون بعشرات الأفكار ، وهو يحاول الاهتداء الى الهدف الذي يرمي إليه «التنين الذهبي» وسبب ابقائه حياً وتصرفه معه بمثل تلك الطريقة؟

وكان القصر من الداخل فاخراً . . وكذلك العشاء المجهز من عشرات الأنواع من الأسماك والقواقع البحرية الرائعة المذاق ، والتي لم يتناول ماجد أشهى منها في حياته .

وبعد العشاء الفاخر استرخى «هوشي يانج» فوق مقعده وهو

يدخن غليونه، وقد بدا عليه كأنه غرق في تفكير عميق، وقد امتدت أمامه رقعة شطرنج لاحظ ماجد فيها أن قطع اللون الأبيض قد كسرت رأسه، قبل أن تعيده إلى مكانها فوق الرقعة مرة أخرى لسبب قاهر!

وبدا كأن «هوشي يانج» يفكر ماذا ستكون الخطوة التالية فوق رقعة الشطرنج، وهل يتطلب الأمر هجوماً مباشراً بأقوى القطع، أم أنه في حاجة إلى بعض المناورة والتخطيط وإنهاك خصمه أولاً؟

وأخيراً استدار صوب ماجد قائلاً: ما رأيك في عرض بالعمل تكسب من ورائه ملايين الدولارات سنوياً؟

قبل أن ينطق ماجد بشيء قاطعه «هوشي يانج» قائلاً: قبل أن تجيب عليك أن تفكر في أن تلك الفرصة التي أمنحها لك.. هي فرصتك الوحيدة للحياة!

فكر ماجد لحظة، كان عليه مجاراة ذلك المجرم الماكر فسأله: وما العمل المطلوب مني تأديته مقابل هذا المبلغ الضخم؟

التقط «هوشي يانج» نفساً عميقاً من غليونه ولم يجب على الفور، بل أفرغ غليونه، ثم حشاه بتبغ آخر فاخر، ورمق تنينه

الذهبي في رضا قبل أن يقول لماجد : إنني أرغب في تطوير أعمالي بمنطقة «الشرق الأوسط» وتوسيعها . . وزيادة شحنات المخدرات المصدرة إليها . . ومثل هذا العمل يحتاج إلى شخص يتميز بكفاءة عظيمة ولا أظن أن شخصاً يمكن أن يقوم بهذا العمل هناك أفضل منك ، فإنها بلادك وأنت خبير بها ، كما أنك خبير في أساليب الخداع والقتال وتحدي الصعاب مهما كانت .

أحس ماجد برأسه تفور وتغلي وذلك الوغد يعرض عليه مثل ذلك العمل القذر ، وهو الذي كان على استعداد للتضحية بنفسه في سبيل إيقاف تهريب المخدرات إلى بلاده وحماية شبابها من تلك السموم .

ولكن كان عليه ألا يعطي رداً مباشراً كسباً للوقت ، وقال «هوشي يانج» مستطرداً : وبالطبع فيجب أن تقطع صلتك بالعمل الذي جئت لإتمامه ، فسنرسل لبلادك ولرؤسائك من يخبرهم بموتك في «هونج كونج» . . وبعملية جراحية بسيطة في الوجه سنغير ملامحك ، لتعود إلى بلادك بشخصية مختلفة لتبدأ من جديد في العمل معنا . . فتصير في وقت قصير من

أصحاب الملايين ، وتكسب في كل صفقة ما لا يمكن أن تكسبه من خلال عمرك كله في عملك الأصلي!

أطرق ماجد لحظة متظاهراً بالتفكير ثم رفع رأسه وهو يقول: هذا عرض مفاجئ. . وأنا أطلب مهلة للتفكير.

«هوشي يانج» : لا بأس. . والآن عليك أن تنضم إلى بعض رجالي لتتعرف عليهم.

وتألقت في عيني «التنين الذهبي» نظرة مجهولة خبيثة ، فتبعه ماجد في صمت وهو يفكر بعمق ، عما يدبره له ذلك المجرم.

وهبط الاثنان إلى ممر متسع مضاء أسفل القصر ، انتهى إلى ساحة ضخمة للألعاب انتشر فيها عدد كبير من المصارعين ولاعبي الكاراتيه والألعاب الصينية ، وقد راحوا يتدربون في عنف شديد على القتال. وكان أبرزهم مصارع أسود اللون له ملامح أفريقية زنجية كما كانت له عضلات هائلة ، وقد راح يتدرب في عنف بالغ على لكم حشيات ضخمة من الرمال مدلاة في السقف ، فيكاد يمزقها بقبضته الرهيبة.

ولاحظ «هوشي يانغ» نظرات ماجد للمصارع الزنجي فقال له : هذا هو «سامبو». . أفضل وأقوى مصارع في جنوب «آسيا». . ويسمونه صاحب العضلات الحديدية.

وفي لهجة خاصة أضاف : ولقد جاء «سامبو» إلى «هونج كونج» مندوباً عن بلده لمهمة وحيدة هي قتلي . . وأنت الآن ترى أي سحر يفعله المال . . وكيف يمكن أن يجعل أكثر أعدائك شراسة . . من أخلص رجالك!

لم ينطق ماجد بشيء . . كان يحس بالاحتقار لذلك الزنجي وتمنى لو أنه لقنه درساً وحطم له ذراعيه . . ولكن كان عليه التظاهر بعكس ذلك حتى لا تزداد مهمته صعوبة في ذلك المكان .

وصفق «هوشي يانج» بيديه فتوقف المصارعون عن التدريبات العنيفة ، وأشار «التنين الذهبي» نحو ماجد قائلاً لرجاله : هذا هو ضيفنا الجديد الملقب برجل المهام الصعبة ، والذي يعتبره البعض من أفضل رجال المخابرات في العالم .

حدقت العيون في ماجد بصمت وتحفز . . وأشار «هوشي يانج» قائلاً : عليكم بتقديم التحية لضيفنا .

فأحنى المصارعون رؤوسهم في بطء تحية لماجد عدا المصارع الزنجي «سامبو» . . وتقابلت عيناه بعيني ماجد في تحد صريح . . كأنه يخشى أن ينافسه ماجد في مكانته لدى «التنين

الذهبي».

وأشار «هوشي يانغ» إلى مصارع ضخم عملاق كان يرتدي بذلة كاراتيه فتقدم نحوه، ثم أشار إلى ماجد قائلاً: لماذا لا ترينا مهارتك في الكاراتيه مع صديقنا الذي ندعوه «رامبو» لشدة قوته.

دق المصارع العملاق فوق صدره في عنف كأنما يؤكد قوته الهائلة واستحقاقه لإسم «رامبو»، فأحنى ماجد رأسه موافقاً على منازلته، وأحضر احد المصارعين بذلة كاراتيه ارتداها ماجد، وصعد مع منافسه إلى حلبة قتال في ركن القاعة وأعطى «هوشي يانغ» إشارة بدء القتال، وفي الحال اندفع «رامبو» نحو ماجد وأطبق على رقبته بذراع هائلة ولكن ماجد صوب ضربة بمرفقه إلى بطن المصارع العملاق، الذي أفلت ماجد لشدة الألم، فعاجله ماجد بضربة من قدمه في صدره، فتراجع العملاق للخلف، ثم اندفع للأمام كقاطرة بشرية وأمسك بماجد ورفعه عالياً لأعلى، ودار به عدة مرات، ولكن وقبل أن يلقيه على الأرض في عنف، كان ماجد يمسك بيد «رامبو» ثم ألقى بنفسه على الأرض جاذباً المصارع العملاق

معه، والذي اختل توازنه ولم يشعر إلا بنفسه وهو يسقط على الأرض، وقدم ماجد وهي ترفعه فوقها عالياً بحركة «جودو» بارعة، ألقت بالمصارع العملاق للخلف فسقط على الأرض وهو يئن. . ثم قفز من مكانه في ثورة وعنف وقبل أن يلتحم ثانية مع ماجد أشار «هوشي يانج» بيده قائلاً: يكفي ذلك. . لقد أثبت لنا الضيف أنه لا يقل كفاءة عنكم.

فأحنى ماجد رأسه وبدّل بذلة القتال بملابسه ثانية والمصارع العملاق يحدجه بنظرة كراهية عميقة، وقد وضح لماجد أن اعداءه قد زادوا واحداً في ذلك المكان!

وقال «هوشي يانج» لماجد: والآن سأريك شيئاً فريداً.

وقاده خارجاً إلى حجرة واسعة جداً ذات أبواب خشبية ضخمة من البلوط وقف على حراستها ثلاثة من المصارعين الأشداء. وولج «هوشي يانج» إلى داخل الحجرة الواسعة وخلفه ماجد الذي صدمه المشهد الذي تبدى له داخل الحجرة.

كانت الحجرة أشبه بمخزن ضخم يصل طوله إلى مائة متر وعرضه عشرين. . وقد تراصت فيه أكياس كبيرة تحتوي على

مسحوق أبيض ناعم، وقال هوشي يانج شارحاً: إنها تحتوي على الهيروين النقي.

وفي صوت عميق بارد أضاف: وهذه الشحنة مخصصة لبلادك.. وستأخذ طريقها إلى هناك خلال أيام قليلة.

وتقابلت عينا ماجد و«هوشي يانج» في نظرة حادة.. باردة.. طويلة. ونطق الصيني في صوت عميق كأنه خارج من بئر قائلاً: تذكر أنه لا خيار لك في هذا المكان.. فإما العمل معي.. وإما..

ولم يكمل «التنين الذهبي» عبارته ولكن نظراته الضيقة المخيفة دلت على ما يريد قوله. واتجه خارجاً يتبعه ماجد في صمت، واقترب الصيني من جدار في حائط الممر أمامه وضغط على زر به فانفتح الجدار، وظهرت خلفه بحيرة صغيرة أشبه ببركة صناعية كان يرقد على حافتها عدد من التماسيح الضخمة. وأشار الصيني إلى بعض رجاله، فأحضروا قطعاً كبيرة من لحم الأبقار ألقوها إلى التماسيح، فاندفعت بعضها تلتهمها وتمزقها في ضراوة على حين انصرفت عنها بعض التماسيح الأخرى، فالتفت «هوشي يانج» إلى ماجد قائلاً: إنها

تفضل اللحوم البشرية وتستطيب مذاقها . . ولعلها قد تحصل على وجبتها منها سريعاً . . أسرع مما يظن أي إنسان!

واكتسى وجهه بملامح خبيثة وهو يحدق في وجه غريمه . .

كانت الرسالة واضحة لماجد، وتبع «التنين الذهبي» صاعداً لأعلى في صمت وتفكير عميق، كان ذلك الصيني الداهية يبدو واثقاً من نفسه لدرجة لا تصدق . . ومن المؤكد أنه يدبر له شيئاً ما . . شيئاً لا يمكن أن يكون في صالح «رجل المهام الصعبة» بكل تأكيد!

وعادا إلى القاعة فسأل «هوشي يانج» ماجد : هل تفضل النوم الآن؟

ماجد : لا . . بل أرغب في مزيد من التعرف على مصارعيك .

ـ حسناً . . اعتبر نفسك في قصرك .

وقدم كأساً من الشراب لماجد قائلاً : في صحتك .

فأجابه ماجد : أنا لا أشرب أي مشروبات روحية .

«هوشي يانج» : حسناً . . يمكنك أن تبادلني التحية بشرب

الماء. فالتقط ماجد كوب ماء من جواره واحتساه وعيناه معلقتان على وجه الصيني الذي بدت ملامحه كأنها نحتت من صخر ولا تفصح عن شيء مما يدور في رأسه.

وعاد «هوشي يانغ» إلى مقعده ليحدق في رقعة الشطرنج. وخطا ماجد مغادراً المكان في نفس اللحظة التي كان التنين الذهبي يلتقط فيها الحصان الأبيض المكسور الرأس من لوحة الشطرنج.. ثم ألقاه تحت قدميه وهشمه في صوت مسموع!

* * *

المعركة الدامية

خطا ماجد إلى قاعة المصارعين يتبعه من الخلف أربعة من الحراس شاهرين مدافعهم الرشاشة . . وبدا واضحاً لماجد أن «هوشي يانج» لا يثق فيه وإلا ما أرسل بحراسه خلفه ، وأن الرجل يمارس معه لعبة لا يفهمها ، وان كان يشم منها رائحة خطر مؤكدة .

كان المصارعون قد انتهوا من أداء تمارينهم . . وكان ثمة إحساس غامض يشد ماجد نحو ذلك المصارع الزنجي . ربما إحساسه بالتقزز منه واحتقاره له لخيانته لبلاده وانضمامه إلى «التنين الذهبي» .

واقترب «سامبو» من ماجد وفي عينيه نظرة كراهية واضحة

وقال له : لماذا لا تختبر قوتك معي في لعبة الساعد؟

أجابه ماجد : سوف يسعدني ذلك . . فليس أحب لي من أن أحطم ذراع أو رأس أحد الأوغاد!

حدق «سامبو» في ماجد بغضب مكظوم ثم تظاهر بالابتسام وهو يقول : حسناً . . لماذا لا يكون لعبنا مقابل بعض المال، ما رأيك في أن نبدأ بمائة دولار؟

وأخرج المصارع الزنجي ورقة من جيبه بمائة دولار لوح بها أمام عيني ماجد . ولاحظ ماجد على الفور . أطراف الورقة التي كانت مصبوغة باللون الأحمر .

كانت هي نفس المائة دولار التي منحها لصياد المركب العجوز!

ولم يكن هناك شك لدى ماجد في شخصية قاتله . . كان هو المصارع الزنجي!

أحس ماجد بغضب عارم يشتعل في صدره، وغمغم في صوت يقطر كراهية لمنافسة الزنجي : لسوف تدفع الثمن غالياً . . غالياً جداً أيها القبيح الوجه .

وجلس الاثنان متواجهين وامتدت اصابعهما لتتماسك في قوة وعنف . . وذراعاهما مسنودتان على حافة مائدة عريضة أمامهما .

وتقلصت عضلات ذراع «سامبو» في مشهد مخيف ونفرت عروقه وهو يبذل كل قوته محاولاً تحريك ذراع ماجد وهزيمته . . وخاتمه الفضي الكبير في أصبع يده اليمنى يعكس الأضواء الساطعة في المكان .

ولكن ذراع ماجد بقيت مكانها لا تتحرك بوصة واحدة . . كأنها وتد من الصلب قد ارتشق في المائدة ويستحيل تحريكه .

كان غضب ماجد يتمثل بقوة عاصفة ويمنحه قوة جبارة . . وجزَّ «سامبو» على أسنانه في عنف هائل محاولاً زحزحة ذراع خصمه، وقد تعالى هتاف بقية زملائه يشجعونه في حماس جنوني .

وتحركت ذراع ماجد . . تحركت للأمام لتزيح ذراع المصارع الزنجي وتهبط بها شيئاً فشيئاً قبل أن تهوى فوق المائدة ويصرخ «سامبو» من الألم المفاجئ، وقد تمزقت عضلات ذراعه بسبب الحركة المفاجئة العنيفة .
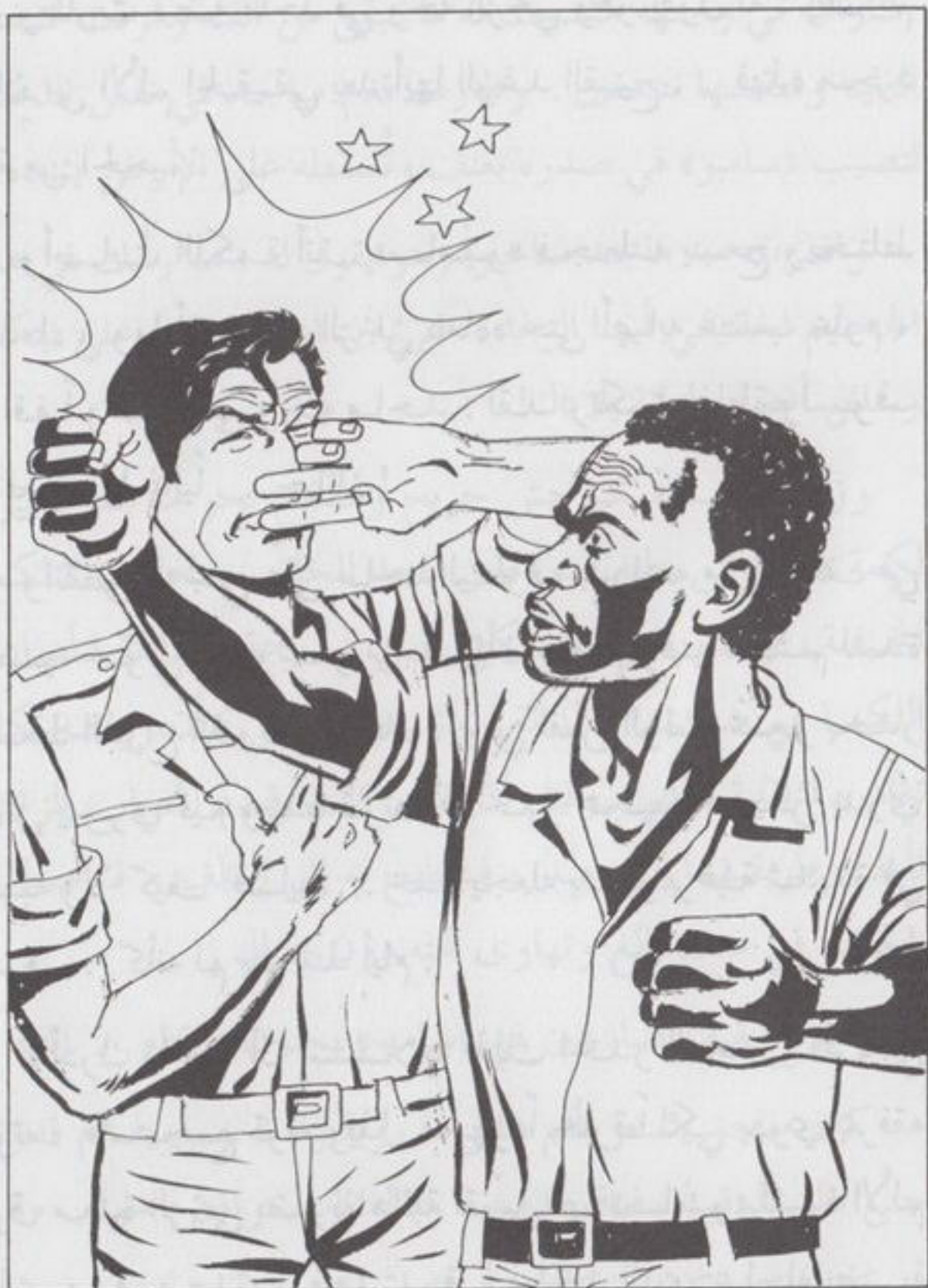
وطارت قبضة ماجد في وجه الزنجي وهو يقول له : إنك لم تعانِ من الألم الحقيقي بعد أيها الوغد القبيح . . فهذه مجرد لمحة من الجحيم .

وأصابت اللكمة أنف «سامبو» فجعلته ينبعج ويختلط بالدماء ، وما أن شاهد الزنجي دماءه حتى أصابه غضب عارم ، واقفاً وصرخ في وجه ماجد : لقد ارتكبت غلطة ولسوف تدفع ثمنها غالياً . . حياتك!

وانقض الزنجي على ماجد ليطوقه بذراعه من الخلف في غضب جنوني . . وشعر ماجد كأن عظام رقبته تتهشم لشدة ضغط الذراع القوية عليها . . وفي نفس الوقت شعر بخدر هائل يسري فيه ويبدد قوته . . خدر عجيب لم يكن يدري سببه ولا كيف اصابه . . خدر يجعله يشعر برغبة شديدة في النوم . . كأنه لم ينم منذ أيام .

وأدرك ماجد أن استسلامه لذلك الخدر العجيب قد يعني موته ، فاستجمع قوته وبذل مجهوداً خارقاً لكي يهوي بمرفقه فوق معدة الزنجي بضربة هائلة تقوّس لها «سامبو» لشدة الألم الذي مزق معدته ، فأفلت رقبة ماجد الذي عاجله بضربة

كاراتيه في وجهه هشمت له ما تبقى من أنفه ومزقت شفته العليا وشقتها نصفين. وطارت قدم ماجد في نفس اللحظة لتصيب «سامبو» في صدره بعنف وتُسقطه على الأرض بشدة.

واقترب منه ماجد ساخراً وهو يقول له: ما رأيك في هذا الجحيم الحقيقي أيها الوغد، فربما يساعدك ذلك على ابتكار وسائل أفضل لخيانة بلادك!

وزأر «سامبو» كوحش جريح واندفع نحو ماجد مصوباً لكمة هائلة إلى بطنه.. وقفز ماجد للخلف متحاشياً اللكمة المخيفة، ولكن قفزته لم تكن بنفس السرعة السابقة فأصابته اللكمة في معدته كالدانة، وشعر ماجد كأن روحه تكاد تغادره لشدة الألم، وقبل أن يفيق كانت قدم المصارع الزنجي تأخذ طريقها إلى صدره فتطيح به إلى الخلف، فاصطدم بالحائط في عنف بالغ وتهاوى تحته دون حراك.

وصرخ بقية المصارعين في «سامبو» بجنون: اقتله.. اقتله.

كان ماجد يشعر بألم هائل.. وبقواه تخور وبعدم قدرته حتى على الوقوف فوق قدميه، وبالمرئيات تتراقص حوله.

كان يبدو كما لو كان قد تناول مخدراً دون أن يدري..

ثم تذكر كوب الماء الذي أصر «التنين الذهبي» على أن يحتسيه ماجد على سبيل التحية.

وتنبه عقل ماجد للحقيقة. . كان المخدر في ذلك الكأس. . وأدرك ماجد مغزى حصان الشطرنج الخشبي المكسور الرأس. كانت خدعة ثمنها الوحيد هي حياته. . ولقد اعتبره «التنين الذهبي» ميتاً منذ تلك اللحظة التي تناول فيها المخدر!

ولقد سقط هو في الشراك ببساطة هاو ساذج لا يدري عن ألاعيب المحترفين شيئاً!

واندفع «سامبو» نحو ماجد وهو يزأر بخوار كالوحش. . ورفع ماجد فوق ذراعيه ودار به في الهواء عدة دورات وهو يلهث بجنون ثم ألقاه نحو الحائط في عنف بالغ، بضربة لو أصابت رأس ماجد لهشمتها كما لو أنها قطعة من الحلوى.

ولكن ماجد بذل مجهوداً جباراً ليستجمع شتات قوته واستدار في الهواء ليواجه الحائط بقدميه بدلاً من رأسه، ثم وبنفس القوة دفع نفسه للخلف مصوباً ضربة عنيفة إلى فك المصارع الزنجي هشمت له أسنانه فبصقها في جنون إلى

الأرض . وقبل أن يفيق من الألم الممض كان ماجد يثب فوق ظهره ليطوق رقبته بذراع فولاذية ، ولكن أصابع المصارع الزنجي امتدت للخلف لتمسك بماجد من ياقة قميصه ، ثم جذبته في عنف بالغ ، فطار ماجد في الهواء وسقط على الأرض ، وشعر أنه فقد كل ما تبقى له من قوة ، وأنه لا يقدر حتى على تحريك أصبع من أصابعه .

كان موقفاً لم يواجهه في حياته من قبل أبداً .

وزاد صراخ بقية المصارعين في «سامبو» : اقتله . . اقتله .

واقترب المصارع الزنجي من ماجد وفي عينيه نظرة وحشية . . نظرة ذئب يوشك على تمزيق فريسته ولن يمنعه شيء من أن يفعل ذلك .

وتذكر ماجد زملاءه القتلى . . والصياد العجوز المسكين القتيل . . وشحنات السموم التي ستأخذ طريقها إلى بلاده . . كان هو الوحيد الذي بإمكانه منع وصولها والانتقام لكل القتلى . وأمده ذلك الخاطر بقوة أخيرة برغم كل ما كان يشعر به من الآم قاتلة . . وشعور لا يقاوم بالخدر .

وقبل أن يفقد ماجد ما تبقى له من وعيه المسلوب ، شاهد

إحدى حشيات تدريب الملاكمة الرماية الثقيلة وهي تتأرجح أمام عينيه، فدفعها بآخر ما تبقى له من قوة نحو صدر غريمه المكشوف. وأصابت الحشية الضخمة هدفها في عنف هائل، فسقط «سامبو» على الأرض وهو يئن من الألم الهائل ولا يقدر على الحركة بعد أن هشمت عظام صدره.

وكان آخر ما وعته عينا ماجد قبل أن يفقد وعيه.. هو وجه «هوشي يانج» وهو واقف بمدخل القاعة ينظر إليه نظرة حادة عميقة.. مليئة بالكراهية والرغبة في الانتقام!

* * *

بين أسنان التماسيح

عندما أفاق ماجد شعر ببعض الألم في صدره وذراعيه . . وتنبه فوجد نفسه ملقىً في مكان رطب تفوح منه رائحة عفونة ويداه مقيدتان بقيود حديدية عبر سلسلة من الصلب .

تنبه ماجد تماماً وأدرك انه سجين زنزانة في قصر «التنين الذهبي» ، وأنه قد مرت عليه ساعات طويلة فاقد الوعي بتأثير المخدر الذي تناوله . . وأن ثمة مصدراً قريباً للمياه هي التي تسبب رائحة العفونة داخل الزنزانة . وحاول تحطيم قيوده ولكنها كانت مهمة فاشلة ، فقيوده والسلسلة الفولاذية من المتانة بحيث يستحيل قطعها أو تحطيمها مهما كانت قوته .

ونهض ماجد على قدميه . . واقترب من باب الزنزانة الحديدية وحاول دفعه ، ولكن الباب كان يبدو كحائط من

الصلب، وفجأة جاء صوت من أحد أركان الزنزانة يقول: لا تحاول شيئاً.. فإنك لن تستطيع مغادرة هذه الزنزانة أبداً مهما حاولت.. إلا عندما يحين الأوان.

كان صوت «هوشي يانج»، وتنبه ماجد إلى عدسة تليفزيونية في ركن الزنزانة بأعلى كانت تراقبه طوال الوقت. وجاء صوت «هوشي يانج» يقول ساخراً: لا تقلق فإنك لن تبقى طويلاً داخل هذه الزنزانة.. فقد تقرر سفر شحنة المخدرات في صباح الغد إلى «مصر» «والشرق الاوسط» ولسوف تصحب هذه الشحنة ولكن بعد أن تحقن بجرعة هيروين زائدة محسوبة تماماً لتدمر خلايا مخك وتصيبك بالجنون.. فنحن لا نرغب في قتلك. فإن هدفنا الحقيقي أن يتسلمك رؤساؤك بعد أن تفقد عقلك، ولا شك أنهم سيدركون مغزى تلك الرسالة، فيتوقفون عن إرسال المزيد ممن يضايقوننا ويعطلون أعمالنا بعد أن يروا ما حل بأفضل رجالهم.. فهل عرفت الآن لماذا أبقيتك على قيد الحياة ولم آمر رجالي بقتلك لحظة دخولك قصري؟

صاح ماجد غاضباً: أيها القذر.. إنك لن تنجو.. ثق من

ذلك .

ولم يجاوب ماجد غير صوت ضحكات التنين الذهبي الساخرة ، فالتقط ماجد قطعة حجارة صغيرة انتزعها من أرضية الزنزانة وصوبها بقدمه نحو العدسة التليفزيونية فهشمها ، وانقطع الصوت تماماً بعد تعطل الدائرة الكهربائية .

وكان هذا هو ما يهدف إليه ماجد تماماً . . ألا تكون هناك عين تراقبه وتحصى عليه حركاته ، ليتاح له العمل في حرية لمحاولة مغادرة تلك الزنزانة .

وكان أمامه وقت حتى صباح اليوم التالي قبل أن تأخذ شحنة المخدرات والسموم طريقها إلى بلاده . وكان عليه أن يحاول مع ذلك بأي ثمن .

وتلفت ماجد حوله ولكن حوائط الزنزانة كانت تبدو كما لو أنها جدران من الصلب . . ولم يكن أمام ماجد غير محاولة نبش الأرضية . . وانحنى فوقها يتحسسها بذراعيه المقيدتين ، كانت الأرضية رطبة . . ولم تكن هناك أي أداة يمكن أن يستخدمها ماجد في الحفر غير أصابعه العارية . . ولكن ما كان ذلك ليوقف ماجد ، فبدأ النبش في الأرضية وانتزاع الحصى